عبد العزيز قرماشف ملكى ٣٥ نلوس

Книгъ і Нотъ
д. Куманиной Уржумскаго уѣз.
АБДУЛЪ ГАЗИЗЪ
КУРМАШЕВЪ

عقائد اسلاميه

تأليف حضرة استاذنا العلامة العامل والجهبذ الكامل صاحب
الفضيلة السيد الشيخ حسين افندى الجسرى
غفر الله تعالى ذنوبه وستر عيوبه
بمنه وكرمه امين.

طبع بمصارف شركة ناشرية وصحافية «خدمت»
[فى بلدة ترويسق من ولاية اورنبورغ]

Дозволено цензурою С.-Петербургъ 13 Января 1903 г.
Типографія М.-Ф. КАРИМОВА въ Оренбургѣ, 1903 г.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا « محمد » اشرف المرسلين . وعلى آله وصحبه اجمعين .

﴿ المقدمة ﴾

« وهى تشتمل على اربعة ابحاث »

﴿ البحث الاول ﴾

« فى تعريف علم التوحيد وثمرته وفضله وافتراض تعلمه »

« على كل مكلف »

اعلم ان علم التوحيد هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية وثمرته هى معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية وهو اصل العلوم الدينية وافضلها لكونه متعلقا بذات الله تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيدنا آدم الى سيدنا محمد عليه وعليهم افضل الصلاة والتسليم ولكن لما كان الشيخ ابو منصور الماتوريدى والشيخ ابو الحسن الاشعرى اشهر من دون كتب هذا العلم واقام الادلة والبراهين على رد ماقاله المخالفون شاع انهما الواضعان له ويفترض تعلمه على كل مكلف من ذكر وانثى ولو بادلة اجمالية واما معرفة ادلته التفصيلية فهى فرض كفاية اذا قام

بها بعض الامة سقط الطلب عن الباقين والصحيح ان من قلد غيره فى العقائد الدينية بان يعتقدها اعتقادا جازما لا يقبل الشك والتردد يكون ايمانه صحيحا ولكنه يكون آثما بترك النظر فى الادلة ان كان قادرا على ذلك والا فلا وانما سمى هذا العلم علم التوحيد لان اشهر مباحثه البحث عن توحيد الله تعالى وهو اساس الدين .

﴿ البحث الثانى ﴾

« فى بيان حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام »

اعلم ان الايمان الذى كلف الله تعالى به عباده وجعل جزاءه دخول الجنة والنجاة من النار هو تصديق سيدنا « محمد » رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة اى اعتقاد صدقه عليه الصلاة والسلام اعتقادا جازما فيما جاء به عن الله تعالى وعلم مجيئه به يقينا مع الاذعان القلبى لذلك وذلك مثل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقضاء والقدر وافتراض الصلاة وبقية العبادات الاسلامية من الزكاة والصيام والحج على المستطيع وتحريم قتل النفس المعصومة ظلما والزنا وامثال ذلك

والاسلام هو الخضوع والانقياد باطنا وظاهرا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وعلم مجيئه به بالضرورة اى علم مجيئه به يقينا فكل من الايمان والاسلام المنجيين لاينفك عن الآخر فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن لان المصدق ذلك التصديق للرسول عليه السلام لابد ان يكون خاضعا لما جاء به عليه السلام والخاضع هذا الخضوع لا بد ان يكون مصدقا ذلك التصديق ثم ان النطق بالشهادتين وهما اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قد جعل شرطا لازما لاجراء الاحكام الدنيوية على المؤمن من نحو مناكحته والصلاة خلفه والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين

فاذا لم ينطق بها لعذر كالخرس اولم يتمكن من النطق بهما بان مات عقب ما آمن بقلبه او اتفق له عدم النطق بهما بان بعد الايمان بقلبه ايضا فهو مؤمن عند الله تعالى وناج فى الآخره لكن من امتنع عن النطق بهما عنادا بعد ان عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى ولا عبرة بتصديقه القلبى الذى يحصل منه لان هذا الامتناع قد جعله الشرع منافيا للايمان وحكم بكفر صاحبه

البحث الثالث

« فى بيان ما اعتبره الشرع منافيا للايمان ومبطلاله »

« والعياذ بالله تعالى »

اعلم ان الشرع الشريف نهى وحذر عن الامور المنافية للايمان وحكم بكفر من يرتكبها وان كان مصدقا بقلبه ومنقادا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك مثل السجود للصنم اختيارا اوالاستهانة بما عظمه الدين كالقرآن الشريف وحديث الرسول المنيف والشريعة المطهرة ورسل الله الكرام واسمائه العظيمة وصفاته الكريمة واوامره ونواهيه والفرائض الدينية كالصلاة والحج اوالشتم لواحد مما ذكر اوالتلفظ بكلمة الكفر او نحو ذلك فان هذا وامثاله ينافى الايمان ويحكم على مرتكبه بالكفر والخذلان وكذلك اذا كذب الانسان شيئا من النصوص الشرعية الثابت وروده عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقينا كآيات القرآن واحاديث الرسول المتواترة عنه عليه السلام اى التى نقلها الجماعة الكثيرون الذين يؤمن توافقهم على الكذب اواستحل حراما ثبتت حرمته فى الشرع قطعا وظهرت حكمة قبحه كقتل النفس المعصومة والزنا وامثال ذلك فان ذلك الانسان يكون قد اخل بالتصديق الايمانى والانقياد الاسلامى واتى بما يبطلهما ويحكم عليه شرعا بالكفر وعلى

كل من كفر والعياذ بالله تعالى ان يبادر لتجديد ايمانه واسلامه ويتوب ما ارتكبه والا فيستحق القتل فى الدنيا والخلود فى النار فى الآخرة نعوذ بالله تعالى وبه نعتصم

﴿ البحث الرابع ﴾

« فى احكام العقل الثلاثة وهى الوجوب والاستحالة والجواز »

اعلم انه لما كان الايمان بالله تعالى على ماسيأتى هو معرفة مايجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه سبحانه وكذلك الايمان ببقية ما يجب الايمان به من نحو الرسل والملائكة لزم ان نبين معنى الوجوب والاستحالة والجواز العقليات التى انحصرت بها احكام العقل وليس له حكم سواها فنقول اما الوجوب العقلى فهو عدم قبول الانتفاء والشىء الذى لايقبل الانتفاء يقال له الواجب العقلى مثاله كون الواحد نصف الاثنين ووجود خالق العالم فكون الواحد نصف الاثنين واجب عقلى ووجود خالق العالم واجب عقلى لا يقبلان الانتفاء والعدم لكن الاول واجب عقلى بديهى لا يحتاج الى دليل والثانى واجب عقلى نظرى يحتاج الى دليل واما الاستحالة فهى عدم قبول الثبوت والشىء الذى لايقبل الثبوت يقال له المستحيل العقلى ويسمى محالا ايضا مثاله كون الثلاثة نصف العشرة ووجود شريك لخالق العالم فكون الثلاثة نصف العشرة مستحيل عقلى ووجود شريك لخالق العالم مستحيل ومحال عقلى لكن الاول مستحيل عقلى بديهى لايحتاج الى دليل والثانى مستحيل عقلى نظرى يحتاج الى دليل

واما الجواز فهو قبول الثبوت والانتفاء والشىء الذى يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلى مثاله سفر زيد اوقلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى فسفر زيد جائز عقلى وقلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى جائز عقلى لكن الاول جائز عقلى بديهى لايحتاج الى دليل ويسمى عاديا ايضا بمعنى انه يحصل وقوعه فى العادة ولا تستغربه العقول والثانى جائز

عقلى غير بديهى يحتاج ثبوت جوازه الى دليل ويسمى غير عادى بمعنى انه يندر وقوعه فى العادة او انه لم يقع قط ولذلك تستغربه العقول فى بادىء الامر ولكن اذا بحث عنه بالدليل وجد انه جائز الوقوع وليس بمستحيل الوجود ومثله انقلاب العصا ثعبانا وانفلاق البحر وعدم حرق النار لجسد الانسان ونطق الحيوان الاعجم وامثال ذلك فان هذه الاشياء وان كان وقوعها غير عادى لكن اذا بحث عنها بالدليل وجد انها جائزة الوقوع وداخلة تحت تصرف قدرة موجد العالم سبحانه وانا اذا قطعنا النظر عن العادة لم تكن امثال هذه الاشياء باغرب من خلق الانسان الذى يكون اولا ترابا ثم ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيوانا ناطقا سميعا بصيرا ثم يصير عالما محققا وحكيما مدققا ولولا العادة لكان من اغرب الغرائب عند العقل ان المطر ينزل على الارض الترابية فينبت به انواع الاشجار والازهار والاثمار المتنوعة الالوان والطعوم والروائح والخواص ولولا العادة لكان من اعجب العجائب ان شرارة صغيرة تخرج من قدح حديدة على حجر فتبتلع مدينة كبيرة باهلها وجميع مافيها وتصيرهم رمادا ولولا العادة لكان من ابعد شىء عن التصديق ان قوة غير مرئية تحصل من تفاعل بعض الاجزاء فتحرك الاجسام العظيمة وتجر الاثقال الجسيمة وتتناقل بواسطتها افكار البشر فى اقطار الارض الشاسعة ولجج البحار الواسعة الا وهى القوة الكهربائية الى غير ذلك من الكائنات التى ما ازال غرابتها عن العقول الا تكرر وقوعها بيننا ولا فرق بين هذه الاشيأ العادية الوقوع وبين تلك الاشياء غير العادية الوقوع الا حصول العادة فى الاولى دون الثانية والا فاذا نظرنا فى الدليل العقلى وجدنا ان كلا منهما جائز الوقوع وداخل تحت تصرف قدرة موجد العالم الذى ابتدع هذه الاكوان واودعها من الاسرار ما تحتار فيه الافكار وليعلم ان تلك الجائزات غير العادية هى التى جعل الله تعالى وقوعها على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام

معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عنه تعالى كما سيأتى شرح هذا فى المباحث الآتية ان شاء الله تعالى

الباب الاول

« فى بيان الايمان بالله تعالى وبيان أعتقاد اهل السنة »
« بالنوص الشرعية الواردة فى صفاته سبحانه »
وفيه ستة فصول

الفصل الاول

فى تعريف الايمان بالله تعالى

اعلم ان معنى الايمان بالله تعالى هو ان يعلم العبد ويعتقد اعتقادا جازما مايجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه من اضدادها وما يجوز فى حقه سبحانه فيعتقد اجمالا اعتقادا جازما انه يجب لله تعالى كل صفة كمال تليق بشان الالوهية ويستحيل عليه تعالى كل نقص ويجوز فى حقه فعل كل ممكن اوتركه ولكن يجب على العبد ان يعتقد تفصيلا بوجوب ثلاث عشرة صفة كمالية لله تعالى عليها مدار الالوهية وعظمة شان الربوبية وباستحالة اضدادها عليه سبحانه وتلك الصفات الثلاث عشرة هى الوجود وضده العدم والقدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة للحوادث وقيامه تعالى بنفسه وضد قيامه تعالى بغيره والوحدانية وضدها ان لايكون واحدا والارادة وضدها الكراهية والقدرة وضدها العجز والعلم وضده الجهل والسمع وضده الصمم والبصر وضده العمى والكلام وضده البكم والحياة وضدها الموت وكمال هذا الاعتقاد ان يكون بالبراهين المفيدة لليقين ولنشرح فى الفصل الآتى بيان وجوب كل صفة من هذه الصفات الثلاث عشرة واستحالة اضدادها مع الدليل المفيد لليقين فى ذلك بعون الله تعالى

﴿ الفصل الثانى ﴾

« فى بيان الصفات الثلاث عشرة التى يجب الايمان تفصيلا »
« بوجوبها لله تعالى وباستحالة اضدادها مع الدليل المفيد »
« لليقن فى ذلك »

﴿ الصفة الاولى (الوجود) ﴾

يجب لله تعالى الوجود ويستحيل عليه ضده وهو العدم والدليل على ذلك ان هذا العالم المشاهد لنا بجميع ما يحويه حادث وكل حادث لابد له من محدث فهذا العالم لا بد له من محدث اما الدليل على ان هذا العالم حادث فهو كونه ملازما للاعراض الحادثة من الحركة والسكون والصور الحيوانية او النباتية اوغيرها من الصور التى لاتخلو مادة العالم وجوهره عن واحدة منها وكل ملازم للحادث يكون حادثا وتوضيحه ان هذه الاعراض حادثة بدليل ان كل واحد منها يزول ويخلفه غيره والقديم لا يزول لانه اما قديم لذاته واما قديم لغيره بمعنى ان شيئا آخر قديما استلزم وجوده وما دامت ذات القديم قائمة او الذى استلزمه قائما فلا يجوز عقلا زواله فاذا ثبت كون هذه الاعراض حادثة نقول اصل مادة العالم وجوهره اما انه كان موجودا قديما وخاليا عن اعراض وهذا باطل لان الاعراض ملازمة له لايخلو عنها جميعها اذ لاينصور خلوه عن الحركة والسكون وجميع الصور واما ان يقال حدث وحدثت تلك الاعراض معه فثبت حينئذ انه حادث والاعراض ايضا حادثة فثبت ان هذا العالم بجميع ما يحويه حادث وهو المطلوب

واما الدليل على ان كل حادث فلا بد له من محدث فلانه لو وجد الحادث بدون محدث يلزم الترجح وهو من المستحيلات البديهية وتوضيحه لمن قد يخفى عليه ذلك ان العقل لا يصدق بان احدى كفتى ميزان

متساويتين فى الثقل بينهما كانتا متوازنتين او اليسرى مثلا مائلة وبالغة بميلها الى الارض بسبب من الاسباب اذ رجحت اليمنى على اليسرى وارتفعت اليسرى الى غاية مايمكن من ارتفاعها وان ذلك حصل بدون مرجح للكفة اليمنى الراجحة لابقوة حيوان ولا بمصادمة هواء ولا جسم آخر سقط فيها ولا بشىء مما يصلح لترجيحها ومن يصدق بهذا عد من الحمقاء ولا فرق بين هذا المثال وبين جميع ماينصور من الحقائق سواء كانت حسية اوعقلية فى ان الترجح بلامرجح فيها من المستحيل كما هو ظاهر فثبت بهذا ان وجود الحادث بلامحدث مستحيل فلا بدلكل حادث من محدث يخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود فتمت لنا الدعوى وهى ان هذا العالم الحادث لا بد له من محدث ثم ان هذا المحدث لا بد ان يكون موجودا لان المعدوم لا يصلح ان يكون موجدا لشىء كماهو ظاهر فثبت بجميع ما تقدم وجوب وجود محدث موجد لهذا العالم واستحالة عدمه وهو المطلوب من هذا البحث وقد سمى العقلاء هذا الموجد للعالم بالله العالم ووردت الشرائع بتسميته باسم الجلالة وهو الله تبارك وتعالى

الصفة الثانية (القدم)

يجب لله تعالى القدم ويستحيل عليه تعالى ضده وهو الحدوث والدليل على ذلك انه سبحانه لوكان حادثا لاحتاج الى محدث ومحدثه مع فرضه حادثا يحتاج الى محدث وهكذا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما ادى الى واحد منهما وهو حدوث الله تعالى يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما وهو المطلوب

اما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر فيلزم ان كلا منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الاله الذى توقف عليه وجود العالم توقف

وجوده على العالم لزم ان العالم قد وجد قبل وجود الآله الذى كان سبب وجوده فيلزم ان يكون وجد العالم قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان.

واما التسلسل فهو ترتب امور وتعاقبها فى جانب الأزل لا نهاية لها وانما حكم العقل باستحالته لانه يستلزم المحال وما يستلزم المحال يكون محالاً وقد ذكر العلماء لبيان استحالة التسلسل عدة ادلة نذكر منها هنا ما يسهل فهمه فنقول لاشك ان العقل يحكم قطعا بان الشىء الذى يكون محصورا بين حاصرين لا بد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فلو كان التسلسل جائزا عقلا لساغ لنا ان نفرض خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقى شكل مثلث ذاهبين الى غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة امور مرتبة متعاقبة فى جانب الأزل غير متناهية ثم لنا ان نفرض المسافات التى بين هذين الخطين ونعتبرهما خطوطا تمتد وتطول كلما امتد الخطان

وتباعدا هكذا فاذا قلنا بعدم تناهى الخطين يلزم منه عدم تناهى المسافات بينهما التى اعتبرناها خطوطا فلا بد ان تنتهى الى خط من تلك الخطوط غير متناه والحال انه محصور بين حاصرين وهما الخطان وقد تقدم ان المقدار الذى يكون محصورا بين حاصرين لابد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فما ادى اليه وهو عدم تناهى الخطين الذى فرضنا فيه التسلسل يكون محالا فبعد بيان كلاً من الدور والتسلسل محال يثبت ان الاله الذى هو موجد العالم لا يجوز ان يكون حادثا عن شىء آخر والا يلزم الدور فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود العالم او التسلسل فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود شىء آخر والشىء الآخر متوقف

على آخر وهكذا الى غير نهاية وكل من الدور والتسلسل محال كما تقدم فما يؤدى الى واحد منهما وهو كون الاله حادثا متوقفا على غيره يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم ووجوب قدمه سبحانه واستحالة حدوثه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم الله تعالى واستحالة حدوثه نقول ان قدمه سبحانه لذاته وليس قدمه لغيره بمعنى ان امرا آخر اقتضى وجوده لانه لو قيل بانه قديم لغيره لانتقل الكلام الى ذلك الغير ويقال هل هو قديم لذاته اولغيره وهكذا الى غير نهاية فيلزم التسلسل وهو محال فلم يبق الا القول بانه قديم لذاته اى انه ليس مستندا فى قدمه الى سواه

﴿ الصفة الثالثة « البقاء » ﴾

يجب لله تعالى البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء والزوال والدليل على ذلك انه قد ثبت وجوب القدم الذاتى لله تعالى واستحالة الحدوث عليه سبحانه وما دام انه تعالى قديم لذاته وذاته تعالى قائمة وقيامها يستلزم وجودها فلا يجوز ان يقبل الفناء والزوال فثبت بهذا ان الله تعالى يجب له البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء وهو المطلوب

﴿ الصفة الرابعة « المخالفة للحوادث » ﴾

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث ويستحيل عليه ضدها وهو المماثلة للحوادث بان يكون تعالى مشابها لهذه الموجودات الحادثة فى خاصة من خواصها التى من طبيعة نفسها ان تكون لازمة لها لا تنفك عنها او من طبيعة نفسها ان تقبلها سواء كانت توجد فى جميع الانواع منها او فى بعضها وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركب والتجزء والتولد عن الغير وولادة الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية

والمعدنية والانتقال من حيز الى حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعجب وامثال ذلك لان الاله سبحانه لوشابه هذه الموجودات الحادثة فى شيء من تلك الخواص لكان مثلها لان الشيء الذى يشابه شيئا آخر فى خاصة من خواصه يكون مثله البتة ولوكان الاله مثلها لجاز عليه ما جاز عليها من الحدوث والفناء لانه ما جاز على احد المثلين جاز على الاخر وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى وبقائه واستحالة حدوثه وفنائه فقد ثبت بهذا ان الله تعالى لايجوز عليه ان يشابه هذه الموجودات الحادثة فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها وهو المطلوب

❋ الصفة الخامسة (قيامه تعالى بنفسه) ❋

يجب لله تعالى قيامه بنفسه ويستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره بمعنى احتياجه الى مكان يقوم فيه اومحل يحل فيه اومخصص يخصصه او موجد يوجده والدليل على ذلك انه قد ثبت فى دليل المخالفة للحوادث انه تعالى ليس جوهرا ولاجسما فلايحتاج الى مكان يقوم فيه لان الاحتياج الى المكان من خواص الجواهر والاجسام وثبت هناك انه تعالى ليس عرضا فلا يحتاج الى محل يحل فيه ويقوم به كما تحتاج الاعراض مثل الالوان والطعوم الى ذلك وثبت ايضا انه تعالى قديم فلا يحتاج الى مخصص يخصصه وموجد يوجده فثبت وجوب قيامه تعالى بنفسه واستحالة قيامه بغيره وهو المطلوب

❋ الصفة السادسة (الوحدانية) ❋

يجب لله تعالى الوحدانية اى انه تعالى واحد فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله ويستحيل عليه ضدها وهو ان لا يكون تعالى واحدا فيما ذكر بان يكون مركبا فى ذاته اوفى صفاته اويكون له مماثل فى ذاته اوفى

صفاته اوله مشارك فی خلق فعل من الافعال

اما الدلیل علی انه تعالی لیس مرکبا فی ذاته ولا فی صفاته فهو انه تعالی لوکان مرکبا فی واحد منهما لاشبه الحوادث فی خاصة من خواصها ومقتضیات ذاتها وهو التر کیب کما تقدم فی دلیل مخالفته تعالی للحوادث فیکون حادثا مثلها وقد قام الدلیل علی وجوب قدمه تعالی واستحالة حدوثه واما الدلیل علی انه تعالی لیس له مماثل فی صفاته فلانه لو وجد له مماثل فی ذاته یجب لذلك المماثل مایجب له تعالی ویستحیل علیه ما یستحیل علیه سبحانه او وجد له مماثل فی صفاته الواجبة القدیمة لاسیما فی تمام القدرة علی کل ممکن کما سیأتی فی اثبات وجوب القدرة التامة له تعالی لکان ذلك المماثل فی الذات اوفی الصفات الواجبة القدیمة آلها ولوکان معه سبحانه وتعالی فی الوجود آله لما وجد هذا العالم کما اشیر الیه بقوله تعالی لوکان فیهما آلهة الا الله لفسدتا ای لوکان الله فی خلق السموات والارض آلهة غیر الله تعالی معهم لفسدتا ای لم توجدا وشرح هذا الدلیل ان یقال لوتعدد آله العالم کأن یکون هناك آلهان (اواکثر اذلا فرق فی هذا الاستدلال) لما وجد شیء من هذا العالم لکن عدم وجود شیء من هذا العالم باطل لانه موجود وثابت بالمشاهدة فما ادی الیه وهو تعدد الاله یکون باطلا واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانیة وهو المطلوب وانما یلزم من وجود آلهین عدم وجود شیء من العالم لانهما اما ان یتفقا علی ایجاد هذا العالم واما ان یختلفا فان اتفقا فلا جائز ان یوجداه لانه اما یحصل بایجادکل منهما وجود للعالم مستقل فیلزم ان له وجودین وهو انما له وجود واحد فقط واما ان لا یحصل بایجادهما الا وجود واحد للعالم فیلزم ان کلا منهما لم یوجده بانفراده بل بمشارکة الاخر فیکون هذان الالهان قد رکبا وجعلا آلها واحدا ینسب الیه الایجاد ولا ینسب لواحد منهما علی الاستقلال لانه جزء الموجد لا موجد مستقل وآله العالم انما هو موجده المستقل اذ یلزم له کمال القدرة وغیر

المستقل يكون عاجزا محتاجا الى معين وايضا اذا قيل ان الاله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد ثبت ان التركيب محال على الاله لوجوب مخالفته للحوادث فى صفاتها التى من خواص نفسها ومنها التركيب ولا جائز ان يوجده احدهما ثم يوجده الاخر لان هذا تحصيل حاصل وهو محال كما هو ظاهر ولا جائز ان يوجد احدهما البعض من هذا العالم والاخر البعض الاخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الاخر طريق تعلق قدرته به وهذا عجز ينافى تمام القدرة على كل شىء والعجز على الاله محال كما سيأتى من وجوب تمام قدرته تعالى على كل جائز وان اختلفا بان اراد احدهما ايجاد هذا العالم والاخر اعدامه فلا جائز ان تنفذ ارادتهما معا لئلا يلزم على هذا اجتماع النقيضين وهو وجود العالم وعدمه فى آن واحد وهو محال ولا جائز ان تنفذ ارادة احدهما دون الاخر للزوم عجز من لم تنفذ ارادته والاخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما وقد يقال اذا نفذت ارادة احدهما دون الاخر كان الذى نفذت ارادته هو الاله دون الاخر لعجزه وتم دليل الوحدانية

ودليل آخر على استحالة تعدد الاله انه لما وجب وجود آله للعالم بدليل ان الحوادث لا بد لها من محدث فاذا وجد آله اخر فاما ان لا يكون كل منهما كافيا فى ايجاد العالم فلا يكون كل منهما الها لان الاله هو الكافى المستقل واما ان يكون واحد منهما كافيا فالثانى يكون ضائعا لا حاجة اليه والاله لا يكون كذلك

واما الدليل على انه تعالى ليس له مشارك فى فعل من الافعال فلان الحوادث فى هذا الكون اما هى حدوث حيوان او نبات او معدن او حركات غير الحيوانات كحركات الكواكب والرياح او حركات الحيوانات غير الاختيارية كحركة نموها وحركة انتعاشها الحاصلة بسبب الحمى مثلا فهذه اشياء من البديهى انه ليس لسوى الله تعالى من المخلوقات دخل فى ايجادها واحداثها ومما يجزم به كل عاقل انه لم يصوره بصورته التى هو عليها ابوه او امه او احد من الخلق فيقال

بعد ذلك ان الدليل على تفرد الله تعالى بايجاد جميع ماذكر هو نظير الدليل على انه تعالى ليس له مماثل فى ذاته ولا فى صفاته اذ نقول فى ايجاد كل منهما لوكان هناك موجدان فاما ان يتفقا فى ايجاد كل شىء مما ذكر واما ان يختلفا ويتمم الدليل الى اخره كما تقدم قريبا فيثبت انه ليس خالق لهذه الاشياء الا الله تعالى واما ان تلك الحوادث حركات العباد الاختيارية من نحو قيام زيد ومشى عمرو ونحو ذلك فهذه ايضا انما المتفرد بخلقها وايجادها هو الله تعالى والدليل على ذلك انه لو كان العبد هو الموجد والخالق لفعله الاختيارى لكان عالما بتفاصيله لكن علمه بتفاصيله باطل فكونه هوالموجد له يكون باطلا فلم يبق الا ان الموجد له هوالله تعالى الذى اوجد بقية الكائنات ولم يشاركه فيها مشارك والدليل على بطلان علم العبد بتفاصيل فعله ان النائم تحصل عنه افعال اختيازية لاشعورله بتفاصيل مقاديرها وكيفياتها وان الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك انامله من غير شعورله بما للانامل من الاجزاء اعنى العظام والغضاريف والاعصاب والعضلات والرباطات ولا بتفاصيل حركاتها واوضاعها التى بها تتأتى تلك الصور والنقوش ثم انه قد تواترت النصوص الشرعية بان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى قال تعالى فى كتابه العزيز والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى هل من خالق غير الله ويسوغ لاهل الايمان الاعتماد فى عقائدهم على هذه النصوص الثابتة فى الدين المحمدى المبين واخذها دليل عقيدتهم على ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسبا فى افعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الى العبد فى قولنا فعله قال الامام الاعظم ابو حنيفه رضى الله تعالى عنه فى الفقه الاكبر مانصه وجميع افعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقه والله خالقها انتهى . قال مفسر كلامه من الائمة الكرام يعنى ان اصل الفعل بقدرة الله تعالى والاتصاف بكونه طاعة اومعصية بقدرة العبد وبيان آخر ان العبد يوجه ارادته الى

الفعل ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سببا لاتصافه به كبقية الاسباب فى جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلا نقول بانه لادخل للعبد فى جميع افعاله ولا نقول بانه لادخل لله فى افعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق افعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون او يعاقبون

﴿ الصفة السابعة (الارادة) ﴾

يجب لله تعالى الارادة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها كل جائز ببعض ما يجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهو الكراهية والدليل على ذلك انه قد ثبت ان هذا العالم لم يحدث بذاته وانما حدث عن الله سبحانه وحينئذ نقول ان حدوث العالم عنه تعالى اما ان يكون بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما ان يكون بطريق الارادة والاختيار اى انه هو الذى اراد وجوده واختاره وعين له الوقت الذى يوجده فيه لا جائز ان يكون حدوث العالم عنه تعالى بطريق العلية والضرورة بدون اختيار لانه لو كان الامر كذلك والله سبحانه قديم للزم ان يكون العالم قديما لانه حينئذ يكون معلولا لله تعالى والمعلول يجب ان يتبع علته ولا يتأخر عنها وقد ثبت ان العالم حادث وجد بعد ان لم يكن فلم يكن حدوثه عن الله تعالى بطريق العلية والضرورة فلم يبق الا انه حدث بارادة الله تعالى واختياره وتخصيصه له الوقت الذى يوجده فيه فقد ثبت بهذا ان الله تعالى آله العالم مريد مختار فوجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية وهو المطلوب

الصفة الثامنة (القدرة)

يجب لله تعالى القدرة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها الحوادث ويعدمها ويستحيل عليه ضدها وهو العجز والدليل على ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم وما احتوى عليه من الانواع ذات العظمة والغرابة من نحو عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن التى تشتمل على مئات الالوف من الأصناف التى تحتار فى عظمتها وغرابتها العقول وتغرق فى بحار عجائبها الفهوم ولا يصدق العقل السليم ومن اجلى المستحيلات عنده ان من اوجد هذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزا مسلوب القدرة فثبت بهذا ان الله تعالى آله هذا العالم الذى اوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب

الصفة التاسعة (العلم)

يجب لله تعالى صفة العلم وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تنكشف له بها جميع الأشياء من الواجبات والجائزات والمستحيلات فيعلم سبحانه كل شىء منها على ماهو عليه من الوجوب او الاستحالة او الجواز ويستحيل عليه تعالى ضده وهو الجهل والدليل على ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم بما احتوى عليه من العجائب والغرائب مع نهاية الاتقان وغاية الاحكام بما تحتار فى دقيق صنعه العقول وفى اتقانه الفهوم ويتضح هذا من نظر الانسان فى اقرب الأشياء اليه وهو ذاته المشتملة على التدبير الباهر والاتقان الذى تحتار فيه الأذهان فكيف اذا تأمل فى عجائب الكواكب ونظامها وعالم الحيوان والنبات والمعدن وما حوته من الانواع والموافقات والاختلافات الى غير ذلك من العجب العجائب ومن المستحيل عند العقل السليم ان الذى اوجد هذا العالم بهذا الاتقان

والاحكام ودقيق الصنعة وعجيب الوضع يكون جاهلا غير عالم فثبت بهذا ان الله تعالى آله العالم الذى اوجده بهذا الاتقان يجب له العلم ويستحيل عليه ضده وهو الجهل وهذا هو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب القدرة والعلم لله تعالى بنوع من البسط ان نقول ان من نظر مثلا ساعة من الساعات التى يستعلم بها الوقت المحتوية على عدة آلات هندسية متقنة محكمة حتى وفت بالغرض وضبطت الاوقات حتى الثوانى منها لاشك عنده ولا ريب فى ان لها صانعا صنعها وان هذا الصانع له قدرة كافية لصنعها وعلم كاف لاتقانها واحكامها حتى تفى بالغرض المقصود منها ومن يصدق بانها حصلت وتكونت بنفسها بطريق الصدفة بدون صانع صنعها واتقنها اوان صانعها عاجز مقطوع اليدين والرجلين جاهل بفنون الهندسة والصنائع بل هو خامل الفكر جاهل بكل علم ومع ذلك صنعها بذلك الاتقان والاحكام فيعد هذا المصدق من الحمقاء الذين لا يفرقون بين الارض والسماء فكذلك اذا نظرنا فى هذا العالم معما احتوى عليه من عجائب كواكبه وغرائب حيوانه ونباته ومعدنه التى ملأت علومها الكتب وطفحت بها الصحف ولم نزل قاصرين عن الاحاطه بكل ما اشتملت عليه من العظمة والغرابة كما يعلم من الاطلاع على كتب الفنون المتكفلة بالكلام على هذه العوالم نجزم قطعا مع غاية الطمئنان قلوبنا بان هذا العالم بجميع مشتملاته لا بد له من صانع صنعه وابرزه بهذا الاتقان والاحكام ونوع انواعه وصنف اصنافه وميز اشخاصه وهو قادر اتم القدرة وعالم اكمل العلم يستحيل عليه العجز والجهل ومن نسب ذلك الصنع العظيم العجيب الى حدوثه بنفسه صدفة واتفاقا او الى شىء آخر عاجز جاهل خال عن كل ادراك ومعرفة فلا شك انه من احمق الحمقاء واجل الجهلاء وان تستر بتمويهات واهية وخرافات ساقطة اذ فطرة العقل السليم تأبى تصديق دعواه الباطلة فنحن نجزم بما اعتقدناه من نسبة صنع هذا العالم للاله القادر العليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

الصفة العاشرة (السمع)

يجب لله تعالى صفة السمع وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بصماخ واذن تنكشف بها مسموعاته تعالى ويستحيل عله ضده وهو الصمم والدليل على ذلك ان الصمم نقص والنقص على آله العالم الذى اوجده مكملا ووهب السمع لبعض انواعه وجعله من اكبر النعم عليهم محال واذا استحال عليه سبحانه الصمم وجب له السمع وهو المطلوب

الصفة الحادية عشر «البصر»

يجب لله تعالى صفة البصر وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بمقلة ولا حدقة تنكشف له تعالى بها مبصراته ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى والدليل على ذلك ان العمى نقص والنقص على الله تعالى الذى اوجد هذا العالم مكملا وزين بعض انواعه بنعمة البصر محال واذا استحال عليه تعالى العمى وجب له البصر وهو المطلوب

* الصفة الثانية عشرة (الكلام) *

يجب لله تعالى صفة الكلام وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ما كان منها وما يكون يفهم بها سبحانه مايريد افهامه لاحد عباده ويستحيل عليه ضده وهو البكم والدليل على ذلك ان البكم نقص والنقص على الله تعالى آله العالم الذى اوجده وكمل بعض انواعه بالنطق والكلام محال واذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب صفة السمع والبصر والكلام له تعالى واستحالة اضدادها وهى الصمم والعمى والبكم بنوع بسيط ان نقول ان الصفات

التسع التى تقدم اثبات وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها وهى اى تلك الصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والارادة والقدرة والعلم وان كان عليها مدار الالوهية ووجود آله منصف بهايكفى فى توجيه وجود هذا العالم ويقنع العقل السليم لكننا اذا تأملنا بعد ذلك فى شان هذا الاله سبحانه وفى بديع مصنوعاته وما احتوت عليه من كمال الاتقان والاحكام بحيث انه سبحانه اعطى كل شىء كماله وكل ما يقوم بوجوده ويصلح لشانه نجزم بانه اذا كانت مصنوعاته فى هذا الكمال فمن المستحيل ان يكون هو سبحانه ناقصا لاننا فى جميع ما نتصوره لا نجد الشىء يوجد مثله فضلا عن ان الناقص يوجد ويبتدع الكامل اوان الكامل يوجد اكمل منه هذا الانسان هو اعلم الحيوانات واقدرها فى الصناعة مهما صنع وابتدع فانه لايقرب فى صنعه من الكمال الذى هو قائم فيه فضلا عن ان يصنع مثله او اكمل منه فلا يقدر على صنع نبات فضلا عن صنع حيوان اوانسان بل لو سقطت شعرة من جسده لايقدر على اعادتها كما كانت وما تراه يجرى على يده من ظهور النبات والحيوان فانما هو بمباشرته الامور التى جعلها الله تعالى اسبابا عادية لتولد النبات اوالحيوان فتراه يضع البزر فى الارض ويعرضه للحرارة ويسقيه الماء فينبت منه النبات وهو لايدرى كيف نبت وحدثت فيه سائر خواصه من اللون والطعم والرائحة وغير ذلك يضع بيض الطائر فى الحرارة فيتولد منه طائره وهو لايدرى كيف تكون ذلك الطائر وشق سمعه وبصره وتصور لحمه ودمه وسائر اعضائه وفى هذا بيان ظاهر ان الانسان لم يصنع النبات والحيوان وانما تسبب فى صنعها مع جهله بكيفية نشأتهما عن اسبابهما وآله العالم هو المتفرد بصنعهما جل وعز فعلى جميع ما تقدم نجزم بان هذا الاله الذى اوجد العالم من العدم ونوع منه الانواع التى تحار فيها الافهام وكمل بعضها بالسمع والبصر والكلام يجب ان يكون له مرتبة الكمال فى صفاته التى ثبتت لدينا بالدليل العقلى وفى

كل صفة كمالية تليق به تعالى والا كان دون مصنوعاته وذلك خلاف ما يصدق به العقل فنعتقد انه سبحانه وتعالى سميع بصير متكلم بل متصف بكل صفة كمال تليق بشان الالوهية ويستحيل عليه تعالى الصمم والعمى والبكم وهو الذى ابدع السمع وانار البصر واطلق اللسان بالكلام كما يستحيل عليه تعالى ان يكون ناقصا فى صفة كمالية وقد اوجد فى مصنوعاته كل كمال

هذا ويسوغ لنا معشر المسلمين ان نكتفى فى اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهى البصر والسمع والكلام له تعالى على الدليل السمعى من نحو قوله تعالى وهو السميع البصير وقوله وكلم الله موسى تكليما ونخرج بذلك عن خطة التقليد كما هو مقرر

﴿ الصفة الثالثة عشرة (الحياة) ﴾

يجب لله تعالى صفة الحياة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح عقلا اتصافه بصفاته الجليلة من نحو القدرة والارادة والعلم ويستحيل عليه تعالى ضدها وهو الموت والدليل على ذلك انه سبحانه لو كان مينا لما صح اتصافه بصفاته التى قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والارادة والعلم لكن قام الدليل على وجوب اتصافه بها فمن المحال ان يكون سبحانه وتعالى مينا واذا استحال عليه الموت وجب له الحياة وهو المطلوب

الفصل الثالث

« فى بيان ان من صفات الله تعالى التى تقدمت ما يتعلق »
« بالاشياء ومعنى تعلقها وان منها مالا يتعلق بشىء »

اعلم ان صفات الله تعالى الثلاثة عشرة التى تقدم لنا اقامة الدلائل على وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها منها ما لا يتعلق بشىء وهى

سبع صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقیامه بنفسه والوحدانیة والحیاة ومعنی عدم تعلقها بشیء انه لایکون بها تخصیص الاشیاء ولا ایجادها ولا کشفها ولا الدلالة علیها کما یکون للصفات الاتیة ومنها ماله تعلق بالاشیاء وهی ست صفات له تعالی وهی الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والکلام

اما الارادة والقدرة فیتعلقان بالجائزات فقط ولا یتعلقان بالواجبات والمستحیلات فالارادة تتعلق بالجائز تعلق تخصیص فیخصص الله تعالی بها فی الازل الجائز ببعض مایجوز علیه مثلا یخصص الله تعالی فی الازل زیدا بانه یوجد ام لا وبانه اذا وجد یکون علی صفة کذا فی الزمن الفلانی والمکان الفلانی والجهة الفلانیة من الارض وهلم جرا وبهذا التخصیص یجب ان یکون هذا الجائز علی ما خصصه الله تعالی به بارادته ویستحیل ان یکون بخلاف ذلك لانه لوکان بخلاف ما اراده الله تعالی فیه لزم ان یکون الله تعالی کارها مقهورا یحصل فی ملکه ما لا یریده وهی حالة لایرضی بها المخلوق المملوك فما بالك بالخالق ملك الملوك سبحانه وتعالی والقدرة له تعالی تتعلق بالجائز تعلق تأثیر بایجاده او باعدامه علی طبق ما تعلقت به الارادة فی الازل مثلا اذا تعلقت ارادته تعالی فی الازل بایجاد زید علی صفة کذا فی زمن کذا فی مکان کذا فاذا جاء الزمن الذی تعلقت ارادته تعالی بایجاد زید فیه تعلقت قدرته تعالی بایجاده فیوجده سبحانه فیه بقدرته علی الصفة التی خصصه بها فی المکان الذی خصصه له بارادته وکذلك اذا تعلقت ارادته تعالی باعدام عمرو علی وجه مخصوص تعلقت قدرته تعالی باعدامه فیعدمه سبحانه بقدرته علی طبق تعلق الارادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادة الله تعالی وهو محال کما تقدم قریبا

وانما لم تتعلق کل من ارادة الله تعالی وقدرته لا ایجادا ولا اعداما بالواجبات کذاته تعالی وصفاته وملازمة الجرم للحیز ولا بالمستحیلات

کالشریك له تعالی والجمع بین النقیضین ککون زید موجودا معدوما فی آن واحد فلان الواجب حاصل حتما ولایمکن خروجه عن الوجود الی العدم فلا تتعلق به الارادة والقدرة لاایجادا لان ذلك تحصیل حاصل وهو محال ولا اعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود ولان المستحیل معدوم حتما ولا یقبل الوجود فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا اعداما لان ذلك تحصیل حاصل وهو محال ولا ایجادا لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم وعلی تقریر هذا المقام لو سأل سائل وقال هل یقدر الله تعالی علی اعدام الواجب الفلانی اوعلی ایجاد المستحیل الفلانی کشریکه تعالی فالجواب المقترن بالادب ان نقول ان البرهان قد دل علی ان قدرة الله تعالی لاتتعلق بالواجبات ولا بالمستحیلات لاایجادا ولا اعداما وما ذکرت ایها السائل فهو من الواجبات اومن المستحیلات فقدرة الله لا تتعلق بهما ولا نقول انه تعالی لا یقدر علی ذلك لان هذا من سوء الادب فی جانب الحضرة الالهیة ویوهم العجز علیه تعالی وتقدس

واما السمع والبصر له تعالی فیتعلقان بجمیع الموجودات سواء کانت واجبات او جائزات تعلق انکشاف ولا یتعلقان بالمعدومات سواء کانت مستحیلات اوجائزات فیری سبحانه وتعالی ذاته الکریمة وصفاته ویسمع کلامه کما انه یری ویسمع کل مرئی ومسموع جائز من مخلوقاته فیری الذرة فی اللیلة الظلماء ویسمع صوت مشیها علی الصخرة الصماء لان سمعه وبصیره تعالی لیس کسمع الحوادث وبصرهم الحادثین الناقصین المتوقف ادراکها علی شروط واسباب عادیة

واما علمه وکلامه سبحانه فیتعلقان بالواجبات والمستحیلات والجائزات الموجودات منها والمعدومات اما علمه فیتعلق بهذا المذکورات تعلق انکشاف فیعلم الله تعالی بعلمه الواجب وانه واجب وذلك کذاته المقدسة وصفاته ویعلم بعلمه المستحیل وانه مستحیل وذلك کالشریك له تعالی ویعلم الجائز وانه جائز سواء کان موجودا اومعدوما سیوجد او لا یوجد

فيعلمه سبحانه على ما هو عليه ولا يعزب عن علمه سبحانه شيء من كلى او جزئى فى الارض اوفى السماء فيعلم عدد الرمال وقطرات الامطار وورق الاشجار وذرات الكائنات ولا نهاية لمعلوماته سبحانه واما كلامه تعالى فينعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة فكلامه سبحانه الذى ليس بحرف ولا صوت يدل على كل واجب ومستحيل وجائز موجود او معدوم بكل ما هو عليه ويفهم الله تعالى بكلامه كل واحد منها لمن اراد افهامه من عباده كملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الرابع ﴾

« فى بيان انه يجب ان نعتقد بجميع صفاته تعالى واسمائه »
« التى ورد الشرع بما يفيد ثبوتها له تعالى مع بيان »
« ان اسماءه تعالى توقيفية »

اعلم انه لما ثبت عندنا معشر المسلمين ان سيدنا « محمد » ابن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله تعالى عليه وسلم هو رسول الله تعالى بدليل ما ظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادة التى كان ظهورها على يديه تصديقا له من جانب الله تعالى بدعوى الرسالة وحيث ثبت انه رسول الله يجب له الصدق فى جميع ما يخبر به ويستحيل عليه الكذب كما سيأتى برهان جميع ذلك فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى وجب علينا وصح لنا تصديقه فى جميع ما جاء فى نصوص شريعته من اثبات الصفات لله تعالى وقد جاء فى نصوص شريعته من القرآن الشريف وحديثه المنيف ما يفيد وصف الله تعالى بالصفات التى تقدم ذكرها مع اثباتها لله تعالى بالدليل العقلى واستحالة اضدادها وهى التى عليها مدار الالوهية اوعظمة شان الربوبية وجاء ايضا فى نصوص الشريعة مايفيد وصف الله تعالى بصفات اخرى كمالية من انه تعالى عدل حكيم صمد هاد خالق رزاق

قيوم الى امثال ذلك مما طفحت به نصوص الشريعة المحمدية فيجب الايمان بجميع ما ورد له تعالى من الصفات العلية فى نصوص الشرعية الاحمدية لان المخبر بها وهو رسول الله صادق مجزوم بصدقه بما قام من دلائل رسالته من عند الله تعالى

ثم كما جاءت نصوص الشرعية باثبات الصفات له تعالى كذلك جاءت باثبات اسمائه سبحانه التى سمى بها نفسه ومنها لفظ الله الذى هو الاسم الخاص به تعالى وهذا اللفظ الكريم كما ان اللغة العربية تطلقه على الاله سبحانه قبل ارسال سيدنا « محمد » عليه الصلاة والسلام كذلك جاءت الشريعة باطلاقه عليه تعالى فتسميته تعالى به تسمية شرعية نعتمد بها على نص الشريعة وهكذا بقية اسمائه تبارك وتعالى فتسميته بكل منها شرعية ولا يجوز تسميته باسم لم يرد به الشرع الشريف وهذا معنى قول علماء الاسلام ان اسماء الله تعالى توقيفية اى ان اطلاق كل اسم منها عليه بتوقيف الشرع الشريف ولا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى بدون توقيفه

﴿ الفصل الخامس ﴾

« فى بيان ما ورد فى نصوص الشريعة نسبته الى الله تعالى »
« مما يوهم التشبيه والمماثلة للحوادث وبيان كيفية »
« اعتقاد اهل السنة والجماعة فى ذلك »
« وطريق تأويله عند الحاجة اليه »

اعلم انه كما ورد فى الشريعة المحمدية ما يفيد وصف الله تعالى بصفات كمالية منها ما قامت الدلائل العقلية على ثبوته له تعالى ومنها ماليس كذلك لكن لما اخبر به الرسول المبرهن على صدقه بالمعجزات ولا مانع عقلا يمنع من ثبوته له تعالى آمنا وصدقنا به وذلك

مثل كونه تعالى قابل التوبة من عباده وانه يثيب الطائع ويعذب العاصى كذلك قد ورد فى نصوص الشريعة الغراء نسبة اشياء لله تعالى توهم ظواهرها مماثلته ومشابهته للحوادث وسميت تلك النصوص بالمتشابهات والحال ان الدليل العقلى قد قام على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته لها وكذلك الدليل النقلى ورد بذلك قال الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السمع البصير فنعتقد فى ذلك النصوص المتشابهات ان لها معانى صحيحة تليق به تعالى خالية عن استلزام مماثلته تعالى للحوادث وليست هى المعانى المتبادرة من ظواهر تلك النصوص المستلزمة للمماثلة ونفوض علم حقيقة تلك المعانى الصحيحة اليه سبحانه فنكون بذلك الاعتقاد منزهين له تعالى عن مماثلة الحوادث ومفوضين له فى علم ما اراد من تلك النصوص وهكذا كان اعتقاد السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات واعتقدوا المعانى المتبادرة منها المستلزمه لمماثلته تعالى للحوادث وخيف على اعتقاد بعض الضعفاء فى الدين من سريان بدعتهم اليه تأول العلماء المتأخرون هذه النصوص المتشابهات تأويلات مناسبة موافقة للادلة العقلية على ما ذكر فى كتب التفاسير وشروح الاحاديث وهم فى تلك التأويلات عند التصدر لرد مذهب المبتدعة او تثبيت عقيدة الضعفاء كانهم يقولون مادامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة مناسبة موافقة للادلة العقلية جارية على قواعد اللغة العربيه فبالحمل عليها احتمالا يحصل التوفيق بينها وبين الادلة الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته تعالى لها ونسلم من اعتقاد ما ربما يخرج به المرء عن الايمان والعياذ بالله تعالى وبيان الطريقتين فى ذلك انه قد ورد قوله تعالى فى القرآن المجيد الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى

والسموات مطويات بيمينه وقوله تعالى وجاء ربك الى غير ذلك من الايات وورد فى الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام رأيت ربى فى احسن صورة وقوله عليه الصلاة والسلام ان الجبار يضع قدمه فى النار وقوله عليه السلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا الى غير ذلك من الأحاديث فالطريق الاسلم الذى درج عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم ان نقول فى هذه النصوص ان لها معانى غير ما يتبادر منها وهى صحيحة موافقة للادلة العقلية والنقلية الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث وانا نؤمن بها ونفوض معرفة حقيقتهـا الى علم الله تعالى وهذا القدر يكفى فى صحة الايمان فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة والنزول الى سماء الدنيا صـفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كنزول الحادث المستلزم الانتقال من حيز الى حيز والمجىء كذلك ونقول ايضا ان له تعالى يدا ويمينا وقدما ليست كاعضائنا بل هى على مـا تليق به سبحانه لاتستلزم التجزوء والمقدار وهو سبحانه اعلم بحقيقة تلك المعانى التى ارادها من تلك النصوص وهكذا القول فى كل نص متشابه واذا تصدينا لرد مذهب المبتدع المدعى مماثلته تعالى للحوادث تمسكا بظواهر هذه النصوص او اردنا تثبيت عقيدة الضعفاء فى الدين فنقول على طريق التأويل ان تلك النصوص تحتمل معانى غير ما يتبادر منها لا تستلزم مماثلته تعالى للحوادث وبالحمل عليها توافق الادلة العقلية الدالة على تنزيهه تعالى عن المماثلة ونأمن بذلك من الخطاء فى اعتقاد الذى ربما يؤدى الى الكفر والعياذ بالله تعالى وبيان ذلك انه يحتمل ان المراد من الاستواء على العرش هو الاستيلاء والقهر كما قال الشاعر العربى

(قد استوى بشر على العراق) اى استولى والمراد بذلك بيان عظمته تعالى ونفوذ حكمه على كل شىء من هذا العالم ويحتمل ان المراد بالنزول الى سماء الدنيا هو الاقبال فالمعنى ان الله تعالى يقبل

على عباده فى ذلك الحين فعبر عن ذلك الاقبال بالنزول الى سماء الدنيا ويحتمل ان المراد بالمجيء هو الاقبال ايضا اوان المرادوجاء امر ربك وسلطانه ويحتمل ان المراد بالوجه الذات فانه يطلق ويراد به الذات وان المراد باليد واليمين القدرة وكل ذلك له شواهد من استعمالات اللغة العربية التى جاء القرآن والاحاديث النبوية بها وهكذا يجرى التأويل فى كل ما ورد من المتشابهات فليس شيء منها الا وقد وجد له العلماء تأويلا مناسبا موافقا للادله العقلية على قانون اللغة العربية وقد افردوا لذلك كتبا تكفلت ببيان ذلك فعلى كل مكلف ان يؤمن بجميع ما ورد من تلك النصوص المتشابهات ويعتقد ان لها معانى صحيحة لائقة بجنابه تعالى غير مستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث ويفوض معرفة حقيقتها المرادة منها الى علم الله واذا احتاج الى التاويل فى دفع مذهب مبتدع اولرفع الوسوسة عن قلبه ولم يكن اهلا للتأويل فليرجع الى العلماء الاعلام ويفهم منهم تاويل ما اراد تاويله ولا يستقل به وهو ليس اهلا له خشية ان يقع فى خطأ يدخله فى البدعة اوفى الكفر نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة وليعلم ان النصوص المتشابهات التى مر الكلام عليها فى هذا الفصل هى الايات القرآنية واحاديث الرسول الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام واما ما ينسبه الى الرسول عليه السلام بعض اهل الاخبار ولم يثبت عنه عليه الصلاة والسلام بنقل العدول فهذا وامثاله لايجب علينا التصديق به فضلا عن الاحتياج الى تاويله والله تعالى اعلم

الفصل السادس

« فى بيان ما يجوز فى حق الله تعالى وبيان مسائل »
« خالفنا فيها اهل البدع »

قد تقدم بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه سبحانه فلنشرح الآن فى هذا الفصل ما يجوز فى حقه تعالى فنقول

يجوز فى حقه تعالى فعل كل جائز اوتركه مهما كان الجائز عظيما دقيق الصنعة فالله تعالى قادر على صنعه والدليل على ذلك من نصوص الشرع الشريف قوله تعالى والله على كل شىء قدير والدليل عليه عقلا ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم وان كل جائز هو قابل للوجود والعدم فيكون الله تعالى قادرا على ايجاده واعدامه والذى يوضح جواز فعله تعالى لكل جائز او تركه مهما كان الجائز عظيما دقيقا ما نشاهده فى هذا العالم من عظائم مصنوعاته تعالى وغرائب مبتدعاته فانه قد تصرف فيها بقدرته ايجادا واعداما نعم قد جرت عادته تعالى بان لا يوجد خوارق العادات اى الامور العظيمة التى لم تجر العادة بوجودها الا على ايدى رسله عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وتصديقا لدعواهم الرسالة اوعلى ايدى اوليائه كرامة لهم او على ايدى بعض عباده معونة لهم او استدراجا او خذلانا كما سياتى تفصيله وكل ذلك فى النادر

ومن الجائز فى حقه تعالى خلق الخير والشر ولا يكون ذلك منه قبيحا خلافا لبعض المبتدعة لانه تعالى فاعل مختار يتصرف فى ملكه كيف يشاء وربما يكون الشىء حسنا فى نفسه وان خفى علينا حسنه وعددناه شرا على ان الشر يكون شرا بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ بكسبه ومخالفة النهى عنه ويكون فعله منا قبيحا واما بالنسبة اليه تعالى فلا

يقال ان الشيء الفلانى خير والشيء الفلانى شر لانه سبحانه لاينتفع بشيء ولا يتضرر من شيء وايضا انه كثيرا ما يقع الشر فى الكون فلوكان بغير خلقه وارادته تعالى لزم ان يقع كثير فى ملكه ليس بخلقه ولا بارادته وهو عجز وقهر على منصب الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

ومن الجائز عليه تعالى ان يفعل غير الصالح وغير الاصلح فى حق عباده ولا يجب عليه ان يفعل ذلك فى حقهم خلافا لبعض المبتدعة لانه لو وجب عليه تعالى الصالح والاصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب فى الدنيا بالفقر وفى الاخرة بالعذاب الاليم لان الاصلح له اماتته صغيرا او سلب عقله قبل بلوغ سن التكليف لكنه تعالى خلق ذلك الكافر ولم يفعل الاصلح فى حقه فظهر انه تعالى لايجب عليه فعل الصالح والاصلح لعباده بل هو الفاعل المختار الذى يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد

ومن الجائز فى حقه تعالى عقلا ان يعذب المطيع وينعم العاصى ولا يقبح ذلك منه لانه مالك مطلق فاعل مختار ولانه ان اثابنا فبفضله وان عذبنا فبعدله ولا تأثير للطاعة فى وجوب الثواب ولا تاثير للمعصية فى وجوب العذاب لكن لما ورد فى نصوص الشريعة المحمدية وعد سبحانه وتعالى للمطيع بالثواب ووعيده للعاصى بالعقاب صار واجبا شرعا ان لا يتخلف وعده ولا وعيده لانه لو تخلف ذلك لزم الكذب والخلف فى خبره تعالى وذلك محال لكن الوعد بالثواب يجب شرعا ان لا يختلف فى حق احد من المطيعين لانه نقص والنقص عليه تعالى محال واما الوعيد بالعقاب فقد اخرج منه المؤمنون المغفور لهم بالدلائل الدالة على ان الله تعالى قد يغفر لبعض عباده الذنوب واما الكفار فلا يتخلف الوعيد فى حقهم للادلة الشرعية الدالة على تحتم خلودهم فى النار واما المؤمنون غير المغفور لهم معاصيهم فلا بد من نفوذ الوعيد فى حقهم ولو بتعذيب واحد منهم لئلا يلزم الخلف فى خبره تعالى

ومن الجائز عليه تعالى عقلا ان ينظر بالأبصار لانه سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح ان يرى فهو سبحانه يصح ان يرى لكن لم تقع رؤيته تعالى فى الدنيا لغير نبينا « محمد » صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته سبحانه فى الاخرة للمؤمنين واجبة شرعا باتفاق اهل السنة والجماعة لنص القرآن والاحاديث الشريفة ولاجماع الصحابة عليها لكن رويته تعالى بلا كيف وبلا انحصار ومعنى قولنا بلا كيف انها بدون تكيفه سبحانه بكيفية من كيفيات الحوادث من نحو المقابلة للرائى والجهة والتحيز لان الرؤية قوة ادراكية يجعلها الله تعالى فى خلقه لايشترط فيها عقلا مقابلة المرئ ولا كونه فى جهة وحيز ولا غير ذلك وانما جعلت هذه شروطا عادية يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية بدونها ومعنى قولنا ان رويته تعالى بلا انحصار اى بدون انحصاره تعالى عند الرائى بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات له تعالى ولا تخالف بين وجوب رؤية المؤمنين له تعالى وبين قوله فى القرآن الشريف لا تدركه الابصار لان معنى ادراك الأبصار رؤيتها على وجه الاحاطة بحيث يكون المرئى متحيزا بحدود ونهايات وهذا لانقول به لانه محال عليه تعالى وقد خالف فى جواز رويته تعالى بعض المبتدعة وتمسكوا بشبه مردودة عليهم فى الكتب المطولة

ومن الجائز عليه تعالى ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس ارسالهم واجبا عليه تعالى ولا مستحيلا بل لطف منه تعالى واحسان ورحمة بمحض الفضل لما فى ارسالهم من الحكم والمصالح التى لاتحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الاله سبحانه وعلمه وقدرته ومنها استفادة الحكم فيما لايستقل به العقل مثل المعاد الجسمانى والحساب ومنها بيان حال الافعال التى تحسن تارة وتقبح اخرى من غير اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الاغذية والأدوية ومضارها التى لا تفى بها التجربة الا بعد ادوار واطوار مع مافيها من الاخطار

ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة فى العلميات والعمليات ومنها تعليم الصنائع الخفية من الحاجيات والضروريات ومنها تعليمهم الاخلاق الفاضلة الراجعة الى الاشخاص والسياسات الكاملة العائدة الى الجماعات فى المنازل والمدن ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصى ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ثم بعد اعتقادنا بجواز ارسالهم فى حق الله تعالى وانه ليس بواجب عليه يجب علينا اعتقاد حصول ارسالهم من لدن آدم الى رسولنا «محمد» صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وسيأتى بيان كيفية تفصيل الايمان بهم عليهم الصلاة والسلام فى الباب الثانى والله الموفق

الباب الثانى

« فى بيان الايمان بالرسل والانبياء والملائكة والكتب »
« واليوم الآخر وما يتبع ذلك وفيه خمسة فصول »

﴿ الفصل الاول ﴾

« فى بيان الايمان بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام »

اعلم ان الرسول هو انسان ذكر حر اوحى الله تعالى اليه بشرع وامره بتبليغه للخلق وان لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبيا فقط وقد تقدم ان ارسال الرسل من الجائز على الله تعالى ولكن قد حصل منه تعالى ارسالهم تفضلا على عباده لما فيه من الفوائد الكثيرة والايمان بالرسل هو ان نؤمن بان الله تعالى ارسلهم مبشرين ومنذرين وايدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الامانة ويستحيل عليهم ضدها

وهو الخيانة ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة ويجب لهم تبليغ ما امرهم الله تعالى بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك و يجوز فى حقهم الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وكمال الايمان بما ذكرنا ان يكون مقرونا بالدليل فنقول فى بيان ذلك

يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الامانة وهى العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الامانة وهى الخيانة فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وامثال ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وامثال ذلك من المنهيات الباطنة وما اوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية منهم فمؤول بتأويلات حسنة مذكورة فى كتب التفاسير وشروح الاحاديث النبوية فعلى المكلف اذا اشتبه بشىء من تلك النصوص فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ان يرجع فى تأويله الى العلماء الاعلام ليفهم منهم تاويله ويكون اعتقاده موافقا لاعتقاد اهل السنة والجماعة والدليل على وجوب الامانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الخيانة عليهم انهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين به لانه تعالى امرنا باتباعهم فى اقوالهم وافعالهم واحوالهم من غير تفصيل والله سبحانه وتعالى لايامر بالمعصية

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب اما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالى فالدليل عليه انه لو كذبوا فى ذلك للزم الكذب فى خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات وهى خوارق العادات التى يجريها الله تعالى على ايديهم تأييدا لهم لانها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالا واذا استحال كذبهم فى ذلك وجب صدقهم

فيه وهو المطلوب واما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فى غير ما يبلغونه عنه تعالى فالدليل عليه انهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الامانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الامانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلى الله تعالى وسلم عليهم اجمعين

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الفطانة وهى التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة والدليل على ذلك انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما امكنهم اقامة الحجة على اخصامهم والمجادلة معهم لاقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذى ارسلوا به وهو هداية الخلق الى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام تبليغهم للخلق ما امرهم الله تعالى بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيئا من ذلك والدليل على ذلك انهم لو كتموا شيئا مما امروا بتبليغه للخلق لكنا مامورين بكتمان العلم لان الله تعالى امرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيئا مما امروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فوجب لهم تبليغ ما امروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شىء من ذلك وهو المطلوب

واما الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو سائر الاعراض البشرية التى لاتؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وذلك كالاكل والشرب وجماع النساء فى الحلال والامراض التى لاتخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والاخذ عنهم والدليل على ذلك مشاهدة تلك الاعراض بهم وهى لاتخل بمنصب الرسالة واما الامراض اوتنفر عنهم الخلق مثل الجنون والاعماء الطويل والجزام والبرص والعمى فهى ممتنعة عليهم ولم يثبت ان شعيبا كان اعمى وما كان ايوب من البلاء فقد كان الما تحت الجلد ليس منفرا وما اشتهر فى قصته من الحكايات المنفرة فهى باطلة

واما السهو فممتنع عليهم فى الاخبار البلاغية اى التى يبلغونها للخلق

نحو الجنة اعدت للمتقين وفى غير البلاغية ايضا نحو قام زيد وذهب عمر ولانه يورث الشبهة لبعض الضعفاء فى عموم اخبارهم وهو ينافى منصب الرسالة واما السهو فى افعالهم غير البلاغية والبلاغية كالسهو فى الصلاة فهو غير ممتنع عليهم وحكمة وقوعه منهم ان يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو فى عباداتهم لان دلالة الفعل اوضح من دلالة القول . واما النسيان فهو ممتنع عليهم فى البلاغيات قولية كانت اوفعلية فالقولية نحو الجنة اعدت للمتقين والفعلية نحو صلاة الضحى اذا امروا بفعلها ليقتدى الناس بهم فلا يجوز نسيان شىء من ذلك قبل تبليغ الاولى بالقول والثانية بالفعل . واما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من جانب الله تعالى لحكمة يعلمها . واما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل ووسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بتمثيل ظاهرى والممتنع لعبه ببواطنهم والملخص انه يجوز على ظواهرهم ما يجوز على بقية البشر مما لا يؤدى الى نقص واخلال بمنصب الرسالة واما بواطنهم فمنزهة محفوظة متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فمؤول يرجع فى فهم تأويله الى العلماء الاعلام وليعلم ان جميع ما ذكر فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والاستحالة والجواز يلزمنا ان نعتقده فى حق الانبياء وهم الذين اوحى الله تعالى اليهم بشرع ولم يامرهم بتبليغه للخلق لانه ربما ترجع اليهم الناس فى الاستفتاء عن احكام شرائع الرسل قبلهم ولانهم مامورون ان يبلغوا الخلق انهم انبياء ليحترموهم ولانهم يعملون بما اوحى اليهم

ثم ليعلم انه يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل اجمالا بان يؤمن المكلف بكل نبى ورسول لله تعالى وبما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز والاولى ان لايعين عددا مخصوصا لاختلاف الروايات فى عددهم وقد قال تعالى منهم من قصصنا عليك من قبل ومنهم من لم نقصص عليك لكن يجب الايمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت اسماؤهم فى القرآن الشريف وقد جمعنا اسماءهم الشريفة فى هذه الابيات

اسماء رسل الله فى القرآن خمس وعشرون فخذ بيان

هم آدم ادريس نوح هود يونس الياس اليسع داود
اسحق ابراهيم لوط موسى ذوالكفل يحيى زكريا عيسى
شعيب ثم صالح ايوب هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيل « محمد » ختمهم الجليل

﴿ الفصل الثانى ﴾

« فى شرح معجزات الرسل التى ايدهم الله تعالى بها وبيان »
« طريق وقوعها واقامة الحجة بها » .

اعلم انه قد تقدم فى هذا الكتاب ان الجائز العقلى هو ما يقبل الثبوت والانتفاء وان كل جائز فهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى مهما كان عظيما ودقيق الصنع وترضيح ذلك بعد ثبوت ان الخالق لهذه الكائنات هو الله تعالى ما نشاهده من اعماله فى هذه المصنوعات من العظمة والدقة والحكمة ولنشر الى تفصيل بعض ذلك فنقول . لننظر الى عالم الكواكب وما اشتمل عليه من العظمة والغرابة وعجيب الترتيب والانتظام كما يظهر من كتب علم الهيئة التى تكفلت بشرح حقيقة ذلك. ولننظر الى عالم الجويات وما احتوى عليه من الهواء والرياح والبروق والرعود والسحاب والامطار والكائنات الجوية التى افردت بالتأليف وصارت علما واسعا . ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه من الجبال والاودية والكهوف والسهول والبحار والانهار والينابيع والمعادن والكائنات الارضية من الزلازل والتغيرات العظيمة . ولننظر الى عالم المعادن وما فيها وما احتوى عليه من الانواع المختلفة فى الالوان والطعوم والخواص والمنافع . ولننظر الى عالم النبات وما فيه من اختلاف الاشجار والازهار والاثمار المتنوعة فى الالوان والروائح والطعوم والاشكال والاقدار والخواص والمنافع وغرائب توالده ونموه واقامته وسائر احواله افردت

بالتاليف واصبحت علما من اعظم العلوم ولننظر الى عالم الحيوان وما يحويه من العظائم والغرائب فى اختلافه فى الصغر والكبر والقوة والضعف والذكاء والبلادة وتباين الاشكال والهيئات والاصناف وما فيه من عجيب التركيب وغريب التأليف وما فى اعضائه من احكام الصنع واتقان الوضع حتى وفى كل عضو بوظيفته . واذا نظرنا فى انفسنا وما اشتمل عليه الجسد الانسانى من غريب الصنع وبديع التركيب لاخذتنا الحيرة وادركتنا الدهشة وفى الاطلاع على كتب التشريح الانسانى وما بينته من اعضاء الانسان ووظائفها وغرائب ابنيتها وتراكيبها وانتظاماتها ودقيق صنعها عبرة لاولى الابصار

ومن اغرب ما فى الانسان حواسه من السمع والبصر والذوق والشم واللمس واغربها حاسة البصر وما احتوت عليه من باهر الصنع بوضع طبقات العين واشكالها وصفاتها وانتظامها واحكامها على نواميس كونية حتى وقت بوظيفة الابصار التى تحتار فى كيفيته الافكار وتالله ان العلوم التى تكفلت بالكلام على هذه العوالم وشرح حقائقها واحوالها وان تكن قد جاءت بكثير من عجائبها مما الاطلاع عليها يربى الايمان فى القلوب لمن وفقه الله تعالى ويشهد لصانعها بعظيم القدرة وكمال العلم والحكمة لكن ما انطوى علمه من عجائبها ودقائق حكمها واسرارها هو بحر عجاج لا تدركه العقول ولا تفى بالاحاطة به الروايات والنقول فسبحان من كانت هذه الكائنات بارادته وقدرته وتدبيره وحكمته فبعد التأمل فى حدوث هذه الموجودات وانه لابد لها من صانع هو رب الارض والسموات نعلم قطعا ان كل جائز عقلا مهما كان عظيما جسيما وغريبا عجيبا فهو داخل تحت تصرف قدرة هذا الاله القادر العليم الحكيم ولكن وجدنا انه سبحانه قد وضع فى تكوين هذه الكائنات وتصوير تلك العوالم اسبابا وقوانين جرت عادته تعالى فى احداث هذه الحوادث عندها فجعل مثلا حدوث النبات بواسطة التراب والماء والحرارة وحدوث الحيوان بواسطة مادته

الاصلية من الذكر الى الانثى وتنميته فى جوف الانثى بوسائط شتى مع مرور زمن مخصوص على كل من هذين التكوينين ولكن لدى تدقيق النظر والبحث فى الادلة العقلية وملاحظة عظيم قدرته سبحانه وكمال علمه وتدبر عجائب صنعه ظهر لنا معشر اهل السنة والجماعة ان جميع تلك الاسباب والقوانين التى وضعها الله سبحانه وجرت عادته فى احداث عندها ما هى الا عادية بمعنى ان عادته تعالى جرت باحداث الحوادث عندها لا بتاثيرها وان الزمن الذى خصص لتكونها ما هو الا عادى ايضا وهو سبحانه وتعالى قادر على احداث تلك الحوادث بدون تلك الاسباب والقوانين وبدون مرور ذلك الزمن الذى يكون ظرفا لتكونها وحدوثها ويظهر ذلك لمن تأمل ان التراب والماء والحرارة لايظهر فيها ادنى داع لان تصور انواع النباتات كل نوع منها على لون وطعم ورائحة وشكل خاص وليس عندها قدرة وعلم وارادة تؤهلها للتصرف فى انواع النبات ذلك التصرف العجيب الغريب وايضا انا نجد بعض انواع النبات مشتملا على دقائق من الصنعة وغرائب من الوضع قد يحدث فى زمن قصير جدا ونجد نوعا آخر بسيط التكوين ليس فيه تلك الدقائق ولا يحتوى على تلك الغرائب قد يحدث فى زمن طويل ممتد وهذا تنبيه من الحق تعالى على ان الزمن ليس شرطا متوقفا عليه التكوين توقفا لازما عقلا بل ان ذلك الزمن لم يجعل ظرفا للتكوين الاعادة جرت للحق تعالى من غير احتياج اليه والا فلو احتيج اليه لكان الشىء الاغرب فى الصنعة اطول زمنا من الشىء الذى يكون دونه فى الغرابة وبما تقرر ظهر ان الله تعالى الذى احدث هذه الكائنات قادر على احداثها بدون تلك الشروط والاسباب والازمنة الموضوعة لتكونها فيجوز ان يوجد الله تعالى نباتا فى لحظة طرف اواقل بدون تلك الاسباب التى جرت عادته ان يحدث النبات عندها وقادر على ايجاد حيوان كذلك وعلى قلب الجماد نباتا اوحيوانا فى لمحة طرف واحداث اعظم من خوارق العادات ولكن

ذلك منه سبحانه لم يكن مطردا بل قد يجريه على يد رسول من رسله معجزة مصدقة له بدعوى الرسالة كما قلب عصا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ثعبانا ثم اعادها عصا فى زمن يسير وهكذا توجيه جميع خوارق العادات التى نقل لنا وقوعها معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام جرت على ايديهم تصديقا لهم مثل انفلاق البحر وانشقاق القمر وكلام الجمادات ومجيء عرش بلقيس فى لمحة طرف وبعد ذلك كله فانك ترى بعض من استولت الغفلة على قلوبهم قد سترت عنهم عظمة مصنوعات الله تعالى المعتادة لديهم وغرابتها لكثرة مشاهدتهم لها ويعجبون من حدوث شيء نادر الوقوع لم تجر العادة فى بروزه لدى حواسهم وربما يكون هذا الشيء فى العظمة ودقة الصنعة دون ما جرت العادة بحصوله والفته انفسهم وما ذلك الا لعدم اعتيادهم على مشاهدة ما ندر وقوعه حتى ربما كذبوا من يخبرهم به اشد التكذيب وان كان ثقة عندهم مثلا تراهم يعلمون ان التراب ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم بعد انتقاله لرحم الانثى ينقلب علقة ثم قطعة لحم ثم تتصور حيوانا سميعا بصيرا شاما ذائقا لامسا ثم يخرج من بطن الانثى ضعيف العقل والقوى ثم يصير قويا صلبا ولبيبا حاذقا وعالما مدققا ويقول انا وانا وما جسده الاقبضة تراب وسيعود كما كان ومع ذلك لايعجبون من جميع ما جرى فى هذه التحولات والاطوار واذا اخبرهم مخبر ان فلانا الرجل الصالح قد شفى الله تعالى فلانا المبتلى بالبرص على يديه بمجرد انه لمسه ودعا له تجدهم قد عدوا ذلك من المحال وحسبوا الخبر به من خرافات الاقوال ولو كان المخبر من اصدق الرجال والحال ان شفاء ذلك الابرص على ذلك الوجه ليس باعظم من تكون الانسان بتلك الاطوار العجيبة بل دونه فى العظمة بكثير وليس الفرق بين الامرين الا ان الاول قد جرت به العادة والثانى ليس كذلك ولكن ما دمنا نعتقد ان الموجد لكلا الامرين هو الله القادر العليم

الفاعل المختار فاى داع يدعو للاذعان بالاول والانكار للثانى نعم لو ان الدعوى ان ذلك الرجل الصالح قد اوجد شفاء الابرص بقدرته كان للانكار وجه وذلك لعدم صلاحية قدرته لاحداث هذا الشفاء ولكن الدعوى ان الله تعالى قد شفى الابرص على يديه كرامة اكرمه لها فلا وجه للانكار ما دام المخبر صادقا موثوقا به ونسب ذلك التأثير لله تعالى الذى هو قادر على كل جائز وهذا الامر كان من الجائزات اذا احتطت علما بجميع ما قررناه فاعلم ان الله تعالى لما ارسل الرسل للخلق ايدهم بالمعجزات لتكون دليل صدقهم فى دعواهم الرسالة والمعجزة هى امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى الرسالة من الله تعالى فالرسول عندما يدعو القوم الذين ارسل اليهم الى تصديقه وامتثال الشرع الذى يبلغهم اياه عن الله تعالى لا بد انهم يريدون منه دليلا على صدق دعواه فيقترحون عليه خرق العادة فى الامر الفلانى والامر الفلانى من نحو انشقاق القمر وخروج ناقة من الصخر وغير ذلك فالله سبحانه وتعالى يخرق العادة على يد ذلك الرسل ويوجد ما اقترحه عليه اولئك القوم وحينئذ يظهر لهم صدقه فى دعواه ويؤمنون به وبما جاء به من عند الله تعالى لانهم يلزمهم ان يقولوا حينئذ فى الاستدلال ان هذا الامر الخارق للعادة لا يقدر على ابرازه للوجود الا الاله القادر عليه ولو لا ان ذلك الرجل المدعى الرسالة صادق لما ابرز الله تعالى على يديه ذلك الامر الغريب فابرازه على يديه هو تصديق له من جانب الله تعالى بلا ريب فالمعجزة تكون فى حق ذلك الرسل وفى حق قومه بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدى فى كل ما يبلغه عنى ونظير ذلك فى رجل ادعى فى حضرة ملك انه سفيره بينه وبين رعيته الحاضرين فى حضرة الملك وعليهم ان يصدقوه فيما يبلغهم عن ملكهم فطلب منه اولئك الرعايا ما يدل على تصديق الملك له فى تلك الدعوى فقال ان علامة تصديق الملك لى فى ذلك انه يقوم الان عن كرسيه ويخطو سبع خطوات ويفعل ذلك ثلاث مرات

على خلاف عادته فبمجرد سماع الملك ذلك قام عن كرسيه وفعل مثل ما قال الرجل فلا شك ان القوم الحاضرين يجزمون حينئذ بصدق ذلك الرجل ويعدون قيام الملك بتلك الكيفية تصديقا له فيعتمدون جميع ما يبلغهم ذلك الرجل عن ملكهم ومن يقل بخلاف هذا فهو من الحمق بمكان اومكبل بقيود العناد والخسران واذا بلغنا الى ههنا فنقول

ان المعجزات التى اظهرها الله تعالى على أيدى الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هى كثيرة جدا فلنذكر منها ما اشتهر وذكر فى القرآن المجيد او فى صحيح الاحاديث النبوية ونشرح توجيه حصول تلك المعجزات على قانون العقل السليم حتى تندفع شبه المبطلين المنكرين لها من اهل الضلال ويزداد بذلك يقين اهل الحق وعصابة الايمان ولكن بعد ان نتكلم على اشهر المعجزات المذكورة فى القرآن لبعض الرسل نفرد فصلا لمعجزات نبينا «محمد» صلى الله تعالى عليه وسلم ونتكلم على بعض الطريق التى اوصلت اتباعه الى الحظوة بتصديقه واتباع طريقه فنقول

من المعجزات التى ذكرت فى القرآن الشريف معجزة سيدنا موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بانفلاق البحر حين ضربه بعصاه حتى مر بنو اسرائيل فيه ونجوا من فرعون ثم اهلك الله تعالى فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم عندما ارادوا لحوق موسى وقومه فاعلم ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرا لوجود اله العالم والعياذ بالله تعالى فهذا يكون الصواب فى حقه ان تقام له الدلائل على اثبات وجوده تعالى واثبات صفاته الجليلة ثم بعد ذلك يبين له حال المعجزات وان كان مؤمنا بوجود الخالق سبحانه فمتى تصور عظمة قدرته وتأمل فى عظائم اعماله وتصور ان انفلاق البحر ما هو الا جائز عقلى من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى لان العقل يحكم بقبوله للثبوت والانتفاء ولا يلزم من ثبوته محال فلا مانع يمنعه من التصديق بذلك وما

يوضح جواز انفلاق البحر ان الماء قابل للانقسام كبقية الاجسام وقابل للتماسك كما يشاهد تماسكه بالجمود بالبرد وتمر عليها الحيوانات وان كان انفلاق وتماسك ماء البحر بتلك السرعة حتى مر بنو اسرائيل بين قطعه ثم رجوعه الى السيلان سريعا حتى غرق فيه فرعون وقومه امورا عظيمة تحتاج الى قدرة تامة فالله سبحانه وتعالى تام القدرة فلا يعجزه ذلك فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بهذه المعجزة القرآن الكريم على لسان رسول الله سيدنا «محمد» صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ثبت صدقه لدينا بالبراهين العديدة وهى من الجائزات العقلية الداخلة تصرف قدرة الله تعالى التامة آمنا وصدقنا بذلك من دون شك ولا ريب وكل منصف اذا تأملها لا يجدها من المحالات والله قادر على احداثها تاييدا لرسوله وحفظا لعباده المؤمنين واهلاكا لاعدائه الكافرين

ومن المعجزات التى ذكرت فى القرآن المجيد ايضا لسيدنا موسى عليه السلام نبع الماء من الحجر عندما ضربه بعصاه بامر الله تعالى فقيل كان حجرا مخصوصا وقيل المراد اى حجر كان وهنا يقال ايضا ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرا للخالق تعالى فقد ذكرنا ما هو الصواب فى حقه وان كان مؤمنا بوجود الخالق تعالى وتمام قدرته وعظيم اعماله فيكفيه لتصديق هذا الامر ان يتصور ان نبع الماء من الحجر له طريقان جائزان. الاول. ان الله تعالى يخلق ويبرز من العدم مقدارا من الماء يكفى بنى اسرائيل ثم يجعل سبيل بروزه فى مشاهدتهم من الحجر عندما يضربه موسى. والثانى ان يحول الله تعالى الهواء ماء وعكسه هو من الامور الجائزة التى دخلت تحت تصرف قدرة الكيماويين كما يعلم من فن الكيمياء وفى هذا العام قدروا ان يحولوا الهواء سائلا من السائلات فما بالك بقدرة من خلق الكيماويين وجميع اعمالهم فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بذلك الصادق ورأينا ان ذلك من الجائزات الداخلة تحت تصرف القادر سبحانه آمنا وصدقنا به وبان الله تعالى

اوجده معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وابقاء لحياة عباده بنى اسرائيل الذين اعوزهم الماء فى التيه

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام المذكورة فى القرآن الشريف انقلاب عصاه ثعبانا كبيرا ابتلع الحبال والعصى الكثيرة التى سحرتها سحرة فرعون وخيلتها للناس حيات فهذه المعجزه ايضايقال فيها ان السامع بها ان لم يكن مؤمنا بالخالق تعالى وبعظيم قدرته فقد تقدم ما هو الصواب فى حقه وان كان مؤمنا بالخالق تعالى فيكفيه لتجويز وقوع هذه المعجزة تصوره ان مصنوعاته تعالى العظيمة من عوالم النبات والحيوان كلها حدثت بقدرته وتكوينه وقد حول موادها من صورة الى صورة فقلب التراب نباتا والنبات حيوانا وان الاسباب التى جعلها فى هذا الكون لحدوث هذه الكائنات والازمنة التى جعلها ظروفا لحدوثها ما هى الاعادية والله تعالى قادر على تلك الاعمال بدون تلك الاسباب وبدون تلك الازمنة وان الله تعالى قادر على اعدام الاجسام اوتفريقها هباء لاتدركه الابصار فنحن معشر الامة المحمدية لما اخبرنا الصادق بحصول تلك المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ونحن نعتقد بكمال قدرة الله تعالى عليها وعلى اعظم منها من الجائزات آمنا وصدقنا بها وقلنا لا مانع من ان الله تعالى قلب تلك العصا التى هى جسم نباتى ثعبانا عظيما وكبر جسمه بضم بعض الاجسام الارضية اليه وبعد ان ابتلع الحبال والعصى اعاده عصا بقدر ما كانت وافنى الاجسام التى زادها فى تكبيره واجسام الحبال والعصى التى ابتلعها او فرق جميع ذلك وصيره هباء لا يرى وكل ذلك اوجده الله تعالى بدون الاسباب والازمنة العادية التى شرعها فى الكون لذلك الصنع اذ هو قادر على ذلك . وكان خرق العادة فى هذا الحال معجزة دالة على صدق رسوله موسى عليه الصلاة والسلام

ومن معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام التى اخبر بها

القرآن المجيد رفع الطور وهو الجبل فوق بنى اسرائيل حتى قبلوا الميثاق وهذه المعجزة يسلم بجواز وقوعها من يؤمن بوجود الاله القادر ويتأمل فى اعماله العجيبة وانه كم رفع من اجرام عظيمة جدا واقامها فى الفراغ وان قيل على مذهب المتأخرين من الفلكيين ان تلك الاجرام قائمة فى الفراغ بنا موس الجاذبية قلنا ان من اوجد ذلك الناموس هو قادر على احداث ناموس نظيره لرفع الطور على ان الاسباب التى وضعها سبحانه وتعالى فى هذا الكون ما هى الا عادية على ماتقدم بيانه فهو قادر سبحانه على ايجاد هذه الكائنات بدون وجود اسبابها فنحن معشر المصدقين بالقرآن الكريم قد اخبرنا بهذه المعجزة الصادق وهى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القادر الذى نؤمن بوجوده وبكمال قدرته فنؤمن ونصدق بحصولها بقدرة الله تعالى معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وترهيبا لبنى اسرائيل حتى قبلوا الميثاق

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام ارسال الجراد والقمل والضفادع والدم على قوم فوعون وانزال المن والسلوى على بنى اسرائيل فى التيه وهذه الاشياء يومن بجواز وقوعها من يؤمن بالله تعالى القادر على هذه الامور واعظم منها وتوضيح جوازها انه يشاهد الى الآن فى هذا الكون ارسال الجراد وغيره من الحيوانات الموذية كالديدان والفيران على زرع قوم دون قوم ويشاهد ان بعض الاقاليم يفسد ماؤها ويورث شربه امراضا لاهلها وبعد البحث عن سببه يظهر انه قد تولد فى ذلك الماء حيوانات صغيرة جدا لا تدرك الا بالمكبرات ولعل الدم كان من هذا القبيل ويشاهد ايضا انه قد يقع عوض المطر اشياء لم يعتد وقوعها ويعلل وقوعها اهل البحث بان ريحا نقلتها من مكان آخر وانزلتها على آخرين فما دام الحال ان جميع تلك الاشياء من الجائزات عقلا المشاهد نظيرها فى ايامنا فما المانع من ان الاله سبحانه اوجدها على يد موسى

عليه السلام معجزة له وترهيبا للقبط اعدائه ورزقا لبنى اسرائل الذين كانوا فى التيه يعوزهم القوت فتفضل عليهم تعالى بالمن والسلوى فنحن معشر المسلمين نومن بحصول جميع تلك الجائزات على يد موسى عليه السلام بخلق الله تعالى معجزة له كما اخبرنا بذلك الصادق

ومن المعجزات التى ذكرها القرآن الشريف خروج ناقة من صخرة على يد سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عندما طلب منه قومه ذلك حتى يومنوا به فمن يسمع هذا الخبر ويكون مصدقا بوجود الاله القادر يكفيه للتصديق بجواز ذلك ان يتصور عجائب صنعه تعالى وانه قادر على قلب التراب حيوانا وتحويل المواد الى صور مختلفة اذ لا مانع من ان الله تعالى صور قطعة من نفس مادة تلك الصخرة من باطنها بصورة ناقة وقلبها للحيوانية بصوره النياق وجعلها حية حساسة ثم فلق الصخرة عنها واخرجها لقوم صالح معجزة له عليه السلام فان الاسباب والازمنة التى جعلها عادته سبحانه فى تكوين الحيوانات ماهى الاعادية وهو قادر على ايجاد الحيوانات بدونها وكم يوجد فى باطن الصخور حيوانات مثل الدود لا يدرى الباحثون كيف تخلقت داخل الصخر ويوجد حولها نبات دقيق مثل العفن الذى يظهر على الحيطان الرطبة تتغذى به وكلما رعته نبت غيره وقد شوهد ذلك ونقله الثقاة فما دام هذا جائزا فى مثل هذه الحيوانات فهو جائز فى مثل الناقه اذ لا فرق الا بالكبر والصغر وهو لا يفيد الاستحالة فى الكبير دون الصغير فنحن معشر المومنين نعتقد بحصول تلك المعجزة لانها من الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وقد اخبر بها الصادق فهى حق وصدق بلاريب

ومن المعجزات التى اخبر بها القرآن المجيد عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالنار العظيمة التى القاه فيها الملك الكافر الذى حاجه ابراهيم عليه السلام فمن يكن مؤمنا بوجود الاله القادر ويعتقد ان النار لا تحرق بطبعها ولا بقوة اودعت فيها بل احراقها

هو بخلق الله تعالى وعدم احراقها من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف الاله سبحانه وان كان ذلك خلاف العادة فلا مانع يمنعه من تجويز وقوع هذه المعجزة ومن ينكر وجود الخالق تعالى ويعتقد ان النار تحرق بطبعها فهذا يكون الصواب فى حقه ان يقوم له اولا الدلائل الدالة على وجود الاله سبحانه وعلى قدرته على كل الجائزات ويوضح له ان النار ليست محرقة بطبعها بل بخلق الله تعالى الاحراق عندما تمس شيئا قابلا للاحتراق اذ لا موجب فى نفس حقيقتها يقتضى ان تحرق الاجسام لانه ان قيل ان موجب احراقها هو النور الذى فيها وهو مولد الحرارة المحرقة قلنا هذا نور الحباحب وهو الحيوان الصغير الذى يوجد فى الليل على النباتات وفى مأخره نور يسطع والمادة التى ينبعث منها ذلك النور مادة حيوانية فصفورية لا حرارة فيها ولا احراق وكذلك كثير من المواد الفصفورية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق فى النار هو اتحاد العناصر الذى تتكون النار بسببه على زعم الكيماويين المتاخرين قلنا نطلب البيان الكافى لم كان هذا الاتحاد موجبا للاحراق دون جميع الاتحادات التى تحصل بين العناصر والاجسام الكيماوية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق هو الحركة المخصوصة للاجزاء الفردة للجسم مع الاجزاء الفردة للاكسجين احد جزئى الهواء كما يقول ايضا المتأخرون من الكيماويين قلنا نطلب التوضيح الشافى لم كانت هذه الحركة موجبة للاحراق دون جميع الحركات التى تحصل بين اجزاء الاجسام المتحدة على قول اولئك الكيماويين ولِمَ لم تكن حركة اجزاء الجسم الذى تنشأ عنه البرودة المفرطة حتى يجمد بها الماء موجبة للاحراق ولِمَ خصت الحركة الاولى بالحرارة والاحراق والحركة الثانية بالبرودة والتجميد فبهذا يظهر ان الخصم لايسعه الا ان يقول لا ادرى الا ان كلا قد خص

بما ينشأ عنه ولا بد من مخصص فنقول له نحن نعلم ذلك المخصص هو الله تعالى الذى خص ما شاء فاحراق النار ليس الا بخلقه وايجاده وليس فى النار شىء يقتضى ان يؤثر بالاحراق ولا بسواه بل هى مسخرة تحت تصرفه سبحانه وتعالى ان شاء انشأ عنها الاحراق والاعدام وان شاء انشأ عنها البرودة والسلام نعم قد جرت عادته سبحانه فى هذا الكون انه جعلها محرقة بخلقه وايجاده فاذا اراد خرق العادة بعدم خلق الاحراق فيها فلا مانع يمنعه ولا حجر عليه وقد اشار سبحانه الى خرق العادة فيها معجزة لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بما تلاه علينا فى القرآن المجيد من قوله فى خطاب النار يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وهذا كناية عن انه تعالى لم يخلق فيها الحرارة والاحراق بل خلق ضد الحرارة فيها وهو البرودة وجعلها سلاما وامانا لا برودة مهلكة فنحن معشر المؤمنين لما اخبرنا الصادق المصدوق بهذه المعجزة آمنا وصدقنا بحصولها ولا مانع يمنع من تصديقها وهى من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف خالق الارض والسموات

ومن المعجزات التى ذكرت فى القرآن الشريف ما جرى على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من شفاء الابرص والاكمه واحياء الموتى باذن الله تعالى فمن كان مؤمنا بالله العالم سبحانه وتصور عجائب اعماله من تحويل التراب الى حيوانات متنوعة لا يمتنع من تجويز احياء الموتى بقدرته تعالى وشفاء المرضى وابراء الاكمه معجزة لسيدنا عيسى عليه السلام فان هذه المذكورات من الجائزات العقلية وهى فى نظر العقل اسهل من خلق الحيوان من التراب وابرازه سميعا بصيرا وان كان كلا الامرين لدى قدرة الله تعالى على حد سواء اذ لا يقال فى حقه تعالى ان الشىء الفلانى سهل والشىء الفلانى اسهل عليه بل الجميع تحت تصرفه فى السوية والوسائط التى جعلت اسبابا فى حدوث مثل هذه المذكورات ما هى الاعادية وكذلك الزمان الذى جعل ظرفا لحدوثها

والله تعالى قادر على خرق العاة وايجاد هذه الامور بدون تلك الاسباب والزمان كما مر بيانه فنحن معشر الموحدين قد اخبر الصادق بهذه المعجزات وحصولها على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فامنا بها وصدقنا

ومن المعجزات التى ذكرها القرآن الكريم وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام ايضا تصويره من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيرا باذن الله تعالى فما دمنا نعتقد ان الله تعالى هو الذى خلق جميع هذه الحيوانات الموجودة فى الدنيا على تنوع انواعها من التراب وان الاسباب التى وضعها لتكونها والزمن الذى جعله ظرفا لتصورها كل ذلك امر عادى والله تعالى قادر على ايجاد ذلك بدون تلك الاسباب وذلك الزمان فلا مانع يمنعنا من تجويز وقوع تلك المعجزة الخارقة على يد سيدنا عيسى عليه السلام بخلق الله تعالى كما قال سيدنا عيسى عليه السلام باذن الله وحيث قد اخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقد آمنا وصدقنا بحصوله معجزة مؤيدة لدعوى ذلك الرسول الكريم

ومن المعجزات التى اخبر بها القرآن الشريف وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام نزول مائدة من السماء ليأكل منها اصحابه الحواريون رضى الله تعالى عنهم وذلك امر جائز اذ لا مانع يمنع العقل من التصديق بنزول اى جسم كان من جهة السماء كما ترى الامطار وبعض اجسام اخرى تخبر بها علماء الارصاد وما دمنا نعتقد بقدرة الله تعالى على خلق جميع الاجسام فالله سبحانه وتعالى قادر على خرق العاده وخلق المائدة وانزالها من السماء على سيدنا عيسى عليه السلام واصحابه معجزة له وتأييدا لدعواه ونحن آمنا بوقوعها لاخبار الصادق بها

ومن المعجزات المذكورة فى القرآن الكريم تسخير الشياطين والريح لسليمان والانة الحديد لداود عليهما الصلاة والسلام فكل ذلك من الجائزات العقلية التى لا يحكم العقل باستحالتها داخلة تحت تصرف

الاله القادر فالشياطين من جملة عبيد الله تعالى قابلون للتسخير مقهورون تحت امر خالقهم سبحانه والريح انما تسييرها وتصريفها فى الاكوان بقدرته عز وجل والحديد معدن قابل للالانة وان جرت عادة الله تعالى فى الأنته بسبب الحرارة ولكن ذلك سبب عادى والله قادر على الأنته بدون ذلك السبب فلا مانع من ايجاد الله تعالى لهذه الخوارق على يد هذين الرسولين الكريمين معجزة لهما وتأييدا لدعواهما الرسالة ونحن معشر اهل الايمان المصدقين بقدرة الله تعالى العظيم الشان وبجواز هذه الحادثات وبصدق القرآن المجيد قد آمنا وصدقنا بحصولها بدون شك ولا ريب وهى بالنسبة لاعمال الله تعالى المشتملة على اعجب العجائب واغرب الغرائب لا يستبعد العقل السليم منها شيئا والله الهادى الى سواء السبيل

وبقيت معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام سنذكر بعضا من مشهورها فى الفصل الاتى لمناسبة بينها وبين معجزات سيدنا « محمد » عليه وعليهم الصلاة والسلام

* الفصل الثالث *

« فى بيان معجزات نبينا سيدنا « محمد » رسول الله صلى »
« الله تعالى عليه وسلم وبيان بعض الطريق »
« التى كانت برهانا على صدق دعواه »

من اعظم المعجزات جاء بها سيدنا « محمد » عليه الصلاة والسلام القرآن الشريف فهو المعجزة الباقية الى انقضاء الدنيا بخلاف بقية المعجزات فان كلا منها قد انقضى بحينه ولنشرح هذه المعجزة العظيمة والخارقة الجسيمة على وجه يفهمه الخاص والعام ولا يعتريه شبهة لدى الأفهام فاعلم ان من حكمة الله تعالى البالغة انه قد يؤيد رسله بمعجزات

من قبيل ما فاق وبرع فيه القوم المرسل اليهم حتى تنقطع حجتهم عن رسولهم بانا نجهل جنس ما جئت به من خارق العادة فلعلك تعلم طريقا فى ايجاده لانعلمها نحن ولا يكون فى الحقيقة الا امرا معتادا مثلا عندما ارسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كان فن السحر شائعا فى القبط قوم فرعون ولهم فيه المهارة التامة ويعلمون ما هو الممكن للبشر معرفته وصنعه منه وما لا يكون فى طوقهم فلما سحر السحرة منهم الحبال والعصى بامر فرعون وصارت ترى حيات تسعى القى سيدنا موسى عليه السلام عصاه باذن الله تعالى فقلبها الله تعالى ثعبانا عظيما فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ثم لما اخذها بيده عادت عصا كما كانت فخر السحرة ساجدين لله تعالى وآمنوا برسالة موسى وصبروا على تعذيب فرعون لهم وقتلهم بالصلب فى جذوع النخل وما ذلك الا انهم لمعرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار ما يدخل منه فى طوق البشر وما لا يدخل ايقنوا ان تلك الخارقة وهى انقلاب العصا ثعبانا كبيرا ابتلع الكثير من الحبال والعصى المسحورة على صورة الحيات ثم عاد عصا كما كان وتلك الحبال والعصى عدمت وتلاشت من الوجود ما هى من نوع السحر وليس فى طوق البشر الوصول الى هذه الدرجة منه فامنوا بانها من خوارق العادات التى لا يقدر عليها الا رب الارض والسموات اوجدها معجزة لموسى مؤيدة لدعواه الرسالة ومن لم يكن من اهل المعرفة فى فن السحر يمكنه الاستدلال على صدق سيدنا موسى عليه السلام بسبب تصديق اولئك السحرة له بان يقول ان هولاء السحرة لاشك انهم متمسكون بدين آبائهم واجدادهم ومتعززون بسلطنة فرعون ويخافون من مخالفته الهلاك ثم لهم الدراية فى فن السحر وبمقدار ما يدخل فى طوق البشر منه وما لا يدخل فلولا انهم علموا يقينا ان تلك الخارقة التى ظهرت على يد موسى ليست من نوع السحر ولا يدخل فى طوق البشر الوصول اليها لما آمنوا بموسى وتركوا دينهم ودين آبائهم وزهدوا فى عزة فرعون ورضوا بالتعذيب والصلب فى

جذوع النخل لفرعون فاقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا فايمانهم بموسى مع ذلك كله اعظم دليل على صدقه بدعوى الرسالة وان تلك الخارقة اظهرها الله تعالى على يده معجزة شاهدة بصدقه واما من لم يرد الله تعالى فيه خيرا كما وقع لفرعون فانه ضل عن هذا الاستدلال واتبع طريق الشبهة وقال للسحرة انه يعنى موسى كبيركم الذى علمكم السحر وهى شبهة باطلة اذ لا يخفى ان موسى من بنى اسرائيل الذين كانوا مستعبدين للاقباط قوم السحرة اصحاب السلطنة والملك فلا داعى يدعو اولئك السحرة الى مخالفة فرعون باتباع موسى ولو فرض انه هو الذى علمهم السحر كما قال فرعون ايصدق العقل انهم يقدمون على ذلك لمجرد تعلمهم منه ويقبلون الذلة بعد العز والقتل والصلب عوض الحياة وهم عقلاء يميزون الخير من الشر فلولا اعتقادهم الجازم بان تلك المعجزة ليست من نوع السحر وهى دالة على صدق موسى بدعوى الرسالة وانهم وان فارقوا عز الدنيا وعدموا حياتها الفانية فسيعوضون بعز الاخرة وحياتها الابدية لما اقدموا ذلك الاقدام وقبلوا ما قبلوا فشبهة فرعون اضعف من بيت العنكبوت وقد جاء بها اما تكبرا وعنادا واما جهلا وشقاء وكذلك لما بعث الله تعالى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان فن الطب شائعا فى بنى اسرائيل فكان من حكمته تعالى ان جعل الكثير من معجزاته عليه السلام من قبيل اعمال اهل الطب فابرأ على يديه الابرص والاكمة واحيا الموتى فاهل المعرفة فى علم الطب لا يحتاجون فى تصديق رسالته الى امر صعب بل من الواضح لديهم ان يقولوا اننا نعلم فن الطب ومقدار ما يمكن الانسان ان يبلغه فيه من الاعمال وما لا يمكنه فيدخل فى طاقة الاطباء الحذاق ان يشفوا الابرص لكن بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص واما شفاؤه فى الحال بمجرد لمسه او لدعاء له فهذا ليس فى طوقهم ويمكنهم ان يشفوا مرض الاعين الذى يكون عرضيا ليس مخلا بجوهر البصر واما شفاء الاكمة عديم البصر فهذا ليس

فى طوقهم واحياء الموتى ايضا ليس فى طوقهم البتة وحيث ان عيسى قد اتى بهذه الخوارق التى ليست داخلة فى طوق البشر كما يظهر لنا من الاطلاع على فن الطب فيكون ذلك دليلا على صدق دعواه الرسالة اذ ان تلك الخوارق ليست الا بايجاد الله تعالى القادر على كل شىء اجراها على يد عيسى معجزة له مؤيدة دعواه واما غير اهل المعرفة فى فن الطب فلهم ان يستدلوا على صدق عيسى بتصديق هولاء الاطباء نظير ما استدل من آمن بموسى ولم يكن من اهل المعرفة فى فن السحر لما شاهدوا ايمان السحرة به اذا علمت جميع ما قررناه فاعلم انه قد نقل الينا بالتواتر المفيد لليقين اى نقل الينا الجماهير الكثيرة الذين لا يحصى عددهم ويحيل العقل تواطؤهم على الكذب كما حالته مثلا تواطؤ الناس جميعا على الاخبار بوجود مكة والحال انها غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرا عن الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوا سيدنا « محمد » بن عبد الله بن عبد المطلب ورأوه رأى العين واحاطوا باحواله وبما جرى له فى مدة حياته مع الامم حتى تم له تصديق الالوف من اتباعه بكل ما جاء به انه بعد مامضى له من العمر اربعون سنة بين قومه وقد عرفوه بالصدق والامانة حتى دعوه « محمدا » الامين ولم يجر له فى تلك المدة تعلم القراءة والكتابة ولم يجتمع مع اهل هاتين الصنعتين اجتماعا يمكنه معه ان يتعلمهما منهم ويؤهله ذلك لاكتساب جملة معارف الامم وشرائع الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه فى تلك المدة انه كان يعانى شيئا من ذلك وكذلك لم يجر له فى تلك المدة ممارسة صناعة الفصاحة والبلاغة فلم يكن له عناية بالاشعار والخب والرسائل العربية لا قولا ولا رواية ولم يكن مولعا بمحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء من كل ما يقوى فيه ملكة تلك الصنعتين الشريفتين ويؤهله الى بلوغ الدرجة القصوى فيهما قام بين جماهير العالم من عرب وعجم مع قلة ذات يده وفقد الناصر والمعين وليس فى آبائه سبق سلطنة قد زالت

فیظن به انه یرید استردادها بالتحیل علی الرئاسة فادعی ان الله تعالی قد ارسله الی الناس کافة لیبلغهم ماشرعه لهم متکفلا بنجاحهم فی الدنیا والاخرة وان هذا الشرع یناسب زمانه الذی ارسل فیه الی انقضاء الدنیا وهو ناسخ لکثیر من احکام شرائع الرسل الذین ارسلوا قبله فی الزمان الماضی الذی کانت تلك الاحکام المنسوخة تناسبه وانه ینهاهم عن عوائد واخلاق قبیحة مضرة بصالحهم ورثوها عن آبائهم اوزینها لهم الشیطان واقبح شیء منها عبادة الاوثان والنیران والاحجار والاشجار وانه یأمرهم بتوحید الله تعالی واعتقاد اتصافه بصفات الکمال وتنزهه عن صفات النقصان وافراده تعالی بالعبادة واداء شکره علی نعمه التی انعمها علیهم وبالحقیقة ذلك الشکر عائد بالمنافع الیهم کخضوعهم له فی الصلوات الناشیء عنه تهذیب نفوسهم ووصلتهم مع خالقهم وکزیارتهم الامکنة التی وعدهم عندها غفران السیئات الی غیر ذلك من کل ما یجلب لهم الخیر ویدفع عنهم الضیر فعندما سمع منه اولئك الجماهیر هذه الدعوی العظیمة نفروا من قبول دعواه وعادوه اشد المعادة وهجره منهم الاهل والخلان وکذبه الشیوخ والشبان وتحول له الاوداء اعداء والموافقون اخصاما الداء ثم اخذوا فی مجادلته ومخاصمته وجرهم منهج المجادلة الی طلب الحجة وصار کل منهم یطلب منه برهانا علی صدق دعواه ویتعجل له التعجیز فی کل ما یهواه وهو صلی الله تعالی علیه وسلم ینصب لهم الدلائل ویجیب منهم کل سائل ومن اعظم الحجج التی استند فی اثبات دعواه الیها وجعل معظم اعتماده علیها ما تلاه علیهم من مجموع کلام عربی یسمیه قرآنا یقول انه من عند الله تعالی ارسله به الیهم وهو مشتمل علی التصریح بانه رسول الله تعالی الی الناس کافة وانه صادق فی کل مایبلغه عنه تعالی وهو متکفل ببیان الشرع الذی شرعه الله تعالی لهم وانه یتحداهم باقصر جملة منه یسمیها سورة بمعنی انه یستدل علی انه من عند الله تعالی بعجز فصحاء اهل اللسان العربی وبلغائه عن الاتیان بما

يساوى سورة منه بفصاحتها وبلاغتها وقد كان فى الامة العربية امراء الفصاحة والبلاغة العربيتين الرائج فى ذلك الزمان سوقهما بين اهل تلك الامة فكانتا اعظم علومهم واكرم مفاخرهم وهم اكثر الناس شاعرا وخطيبا وفيهم العالمون باساليبهما الحاملون اعلامهما والمحيطون باسرارهما وبما هو فى طوق البشر من مراتبهما وبما ليس فى طوقهم ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يصمهم بالضعف والقصور عن معارضة اقصر سورة من ذلك القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها بذلك فى كل محفل مشهرا له فى كل جحفل ومع ذلك يسفه احلامهم فى عاداتهم وعباداتهم ويطعن فى معبوداتهم التى عبدوها بضلالاتهم فاخذ علماء الفصاحة والبلاغة منهم وامراؤهما بينهم يتأملون فى ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار التبيان ويتدبرونه تدبر الناقد البصير عسى ان يتبين لهم طريق لمعارضته وابطال حجته فلا وربك ما وجدوا (ولن يوجد الى الآن وبعد الآن الى انقضاء الزمان مع وفور الفصحاء والبلغاء وكثرة الاعداء الالداء نقول هذا على رؤوس الاشهاد والقرآن ينطق به فى عدة آيات وهو يتلى فى كل ناد) لكن ظهر لهم ان هذا القرآن قد بلغ مرتبة فى الفصاحة والبلاغة لا تدركها القوى البشرية ولو ان احدا كابر وعارض لجاء بالغث البارد واصبح سخرية عند الصادر والوارد فتحقق لديهم عجزهم عن معارضته ولو باقصر سورة منه فاقر من وفقه الله تعالى منهم بعجزهم بل بعجز البشر وبان ذلك دليل على انه من عند خالق القوى والقدر وصدقوا دعوى سيدنا «محمد» صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة من الله وتركوا عاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة واعتنقوا ما شرعه الله تعالى لهم واجتباه ثم ان كثيرا ممن لم يكونوا من اهل الفصاحة والبلاغة من الامة العربية او من سواهم من الاعاجم وجد لم من الاستدلال بمعجزة القرآن على صدق سيدنا «محمد» صلى الله تعالى عليه وسلم بدعوى الرسالة مايقنع افكارهم ويحملهم على اعتناق دينه الشريف وذلك بان يقولوا

ان «محمدا» عليه الصلاة والسلام قدقام بدعوى الرسالة فريدامخالفا لجميع العالم فى عاداتهم وعباداتهم لاناصر له ولا معين وقد ادعى عجز فصحاء العرب وبلغائهم المشهود لهم بكمال الفصاحة والبلاغة عن معارضة اقصر سورة من قرآنه الذى جاء به وهولاء مع تمسكهم بعاداتهم وعباداتهم الموروثة عن آبائهم والمألوفة من لدى نعومة اظفارهم ومع تعصبهم لعشيرتهم وبنى جلدتهم وليس لدى «محمد» من حطام الدنيا مايبعث على رغبتهم فى اتباعه ولا هو صاحب عصبية وقوة تخيفهم من بطشه لانه فى اول دعواه عاداه الاهل والارحام بل جميع الانام فقد اقر اولئك الفصحاء البلغاء بعجزهم عن معارضة اقصر سورة من قرآنه وان درجة الفصاحة والبلاغة المحتوى عليها لا تبلغها الطاقة البشرية وصدقوا بدعواه الرسالة من عندالله تعالى فلولا انهم قد تحقق لديهم على ما عندهم من كمال المعرفة فى فن الفصاحه والبلاغة انهم عاجزون عن معارضة قرآنه وان ذلك القرآن لم يكن الاتيان به فى طوق البشر وهو دليل على انه من عند الله تعالى لما امنوا «بمحمد» وتركوا عاداتهم وعباداتهم الموروثة المالوفة ولا رغبة هناك لهم فى حطام ولا خوف من انتقام ولا يخفى ان اصعب شىء على العاقل مفارقة دينه الذى يرجو به النجاة فى الدنيا والاخرة واصعب شىء بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التى الفها وتلقاها عن اسلافه حتى ان البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها فالعاقل لايفارق دينه الا اذا تيقن النجاة فى دين سواه ولايهجر عوائده لاسيما الموروثة المالوفة الابسبب قوى قاهر فحال هولاء القوم الفصحاء البلغاء مع «محمد» وايمانهم به على هذا الوجه هو دليل لنا كاف لتصديقنا اياه فيما ادعاه من الرسالة من عند الله تعالى (وليس ايمان هولاء الفرقة بالتقليد للفرقة الذين هم اهل معرفة بالفصاحة والبلاغة بل ايمانهم بطريق استدلالى كما هو ظاهر ولهذا الطريق وامثاله كلفت الاعاجم بالايمان برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام وان لم يعرفوا لسانه العربى)

ثم ليعلم ان فى القرآن استدلالا على صدق سيدنا « محمد » صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعوى الرسالة من طريق غير طريق اشتماله على الصفاحة والبلاغة اللتين اعجزتا فصحاء العرب وبلغاءهم وهو ايضا معجزة من هذا الوجه خارقة للعادة لايمكن البشر الاتيان بها وبيان ذلك انه اذا تأمل فيه اهل الخبرة فى نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وذوو المعارف والفنون والسياسات وتدبروا اساليبه ومحتوياته ظهر لهم بالنظر الصادق ان هذا القرآن قد وجدت فيه خواص فاضلة وصفات كاملة لايمكن فى العادة اجتماعها فى مجموع كلام مهما تانق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضى والحاضر والمستقبل واحوال الامم فى شؤونها اجمع والاحاطة فى جميع الفنون والاداب والحكم والسياسات وتحرى فيه عدم المناقضة والتضارب وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا ان يكون القائل هو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه فى كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم يجدون هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة تاتى طبق اخباره كوعده اتباع « محمد » عليه السلام بدخول مكة امنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هى حكاية من شاهدها وحضرها ونخبر عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك من اصحابها بقول اوفعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض اتباع « محمد » عليه السلام ولبعض اعدائه (كما جاء فى التفاسير وكتب الاحاديث) وهو مع اتساع مجاله فى كل فن من اخبار واحكام ومواعظ وامثال اخلاق واداب وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة الاخصام وتبكيت الطغام واقامة الدلائل على وجود البارى تعالى وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف دار النعيم واحوال سكانها ودار الجحيم واهوالها

ووصف عالم السموات وما فی العالم العلوی من الآیات من کواکب وامطار وسحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وینابیعها وانهارها وما اشتملت علیه من نباتات وحیوانات ومعادن وازهار واثمار واشجار واطیار وظلمات وانوار حتی یصح ان یقال انه لم یبق علما من علوم الاوائل والاواخر الاصرح به او اشار الیه علی اسالیب متنوعة وطرائق مبتدعة لم یقع فیه تناقض ولم یتخلله تضارب خالیا عن جمیع العیوب خارجا بحسن نظمه عن مشابهة کل اسلوب لیس له مثال یحتذی علیه ولا امام یقتدی به فلا هو من نوع القصائد العربیة ولا من الخطب البدویة ومع ذلك فهو فی العقول مستحسن وفی النفوس مستملح وفی الاذواق مستعذب وفی القلوب محبوب وللاسماع مالوف کلما تکرر حلا ومن ای الافواه سمع علا وغلا ولا یصح فی العقل السلیم ان تجتمع کل تلك الصفات فیه اتفاقا ولا یصدق بالصدفة فی ذلك الفکر الصحیح فمن الواجب فی حق هولاء المتأملین فیه والمتدبرین فیما یحویه واللائق بانصافهم بعد ذلك ان یقولوا ان الذی ظهر لنا تحققناه من اجتماع تلك الصفات فی هذا الکلام البدیع انه کلام تعجز عنه قوی البشر ولو کان بعضهم لبعض ظهیرا فاتیان « محمد » علیه السلام به وهو امی ومن المحال عادة ان یاتی به اکبر العلماء واحذق الفلاسفة واعظم المورخین واکبر السیاسیین دلیل واضح علی انه من عند الله تعالی ارسل به « محمدا » لیکون معجزة له تدل علی تصدیقه ایاه فی دعوی الرسالة واعلم ان هذا الطریق فی الاستدلال علی کون القرآن معجزة اید الله تعالی بها سیدنا « محمدا » صلی الله تعالی علیه وسلم قد هدی الله تعالی به کثیرا من اتباعه علیه الصلاة والسلام کما هدی بالطریق الاول وهو اعتواء القرآن علی الفصاحة والبلاغة اللتین عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم بسببهما عن معارضة اقصر سورة منه ولم یزل کل من هذین الطریقین سهل السلوك علی اهل المعرفة بفن الفصاحة والبلاغة وعلی اصحاب المعرفة

بفضائل الكلام الى الان وبعد آلان الى انقضاء الليالى والايام ومن لم يكن اهل هاتين الفضيلتين فله الاستدلال بخضوع اهلهما وتسليمهم بتلك المعجزة الخارقة للعادة حتى فارقوا دين اباقهم وعوائدهم واتبعوا سيدنا « محمدا » صلى الله تعالى عليه وسلم فى دينه وهداه كما تقدم شرح ذلك قريبا وبذلك ظهر ان معجزة القرآن التى اعطيها سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هى معجزة باقية الى اخر الزمان وبقية المعجزات وان يكن قد انتفع بها من شاهدها ممن كان فى عصر الرسل عليهم الصلاة والسلام وانتفع بها من نقلت اليهم بالنقل الصحيح كاهل الاعصر التى بعد الرسل لكنها لم تبق مشاهدة الى الان وبعد الان فلمعجزة القرآن هذه الخاصة من بقاء مشاهدتها على كرور الزمان وهذا من جملة ما اكرم الله تعالى به سيدنا « محمدا » صلى الله تعالى عليه وسلم وخصه به عن سائر الرسل الكرام لكن الهداية بيد الله تعالى يهدى من يشاء الى الصراط المستقيم

ومن معجزات سيدنا « محمد » صلى تعالى عليه وسلم التى ذكرت فى القرآن الشريف والحديث المنيف انشقاق القمر فرقتين بطلبه عليه السلام من ربه حينما طلب منه المشركون ذلك فراى انشقاقه الكثير من اهل مكة اسلاما ومشركين وورد الى مكة جماعات من المسافرين الذين كانوا بعيدين عنها ولكن افق امكنتهم مساو لافقها فاخبروا انهم را وا انشقاق القمر فى تلك الليلة وعدم رؤية اهل الارض جميعا لتلك الحادثة لا ينافى وقوعها لان القمر بسبب اختلاف الافاق التى يراه منها اهل الارض لا يظهر على الناس جميعا فى آن واحد بل كل وقت يظهر لاهل افق ويخفى عن غيرهم كما يعلم من فن الهيئة وهذه المعجزة من يسمع بها ويكون مؤمنا بوجود الاله القادر ويتصور ان انشاق القمر من الجائزات العقلية لا يمتنع عن التصديق بوقوعها بعد صحة نقلها وتوضيح جوازها ان القمر ما هو الاجسم من جملة الاجسام القابلة للانقسام والالتحام وكم يوجد فى ارضنا من انشقاق جبال عظيمة وهدوث وديان لم تكن

والتحام جبال كانت منفصلة وهذه الحوادث الارضية وان لم تكن جرت عادة الله تعالى بايجادها باسباب يحدثها الله تعالى من نحو الزلازل والصواعق والامطار الغزيرة ولكن تلك الاسباب ما هى الاعادية والله تعالى قادر على ايجاد تلك الحوادث بدون تلك الاسباب كما يعلم من كمال قدرته سبحانه والقادر على التصرف بهذه الاجسام الارضية تلك التصرفات هو قادر على التصرف فى القمر بالانشقاق ونحوه اذ لا فرق بينه وبينها فى الجسمية وقبول الانشقاق والالتحام الا ان القمر اكبر منها والكبر والصغر لادخل له فى قبول ذلك وعدم قبوله فى جانب قدرة الله تعالى ثم ان الروايات الصحيحة التى نقل لنا تلك المعجزة تفيد ان القمر انشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه والمراد بذلك انه صار بمرأى الرائى ان فرقة منه فوق الجبل اى فى افقه لا بمعنى انها ركزت على نفس الجبل وفرقة دونه اى فى مقابلته لا بمعنى انها تحت الجبل وهكذا يقول الواحد منا قد رايت القمر فوق الجبل وخلفه وفوق البحر والحال ان القمر ليس كذلك وانما مراده التعبير عن كيفية الروية له فلا يقال ان القمر جسم كبير جدا دون ارضنا بقليل على ما يقوله علماء الهيئة فلا يمكن ان فرقة منه توضع على نفس جبل صغير من جبال الارض ويسعها ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحت الجبل بالفعل لان هذا غير مراد كما علمت وانما نصت الرواية على كيفية هذه الرواية لتفيد ان الفرقتين من القمر قد تباعدتا عن بعضهما حتى لايكون للمشركين اشتباه فيما لو كانتا متقاربتين فيقولون ان رويتنا انشقاقه هى من غلط الحس والتخيل الذى لا اصل له فى الواقع ومن المعلوم ان القادر على شق القمر فرقتين هو قادر على تباعدهما ذلك التباعد ثم ضمهما لبعضهما ثم من غريب مايحكى عن بعض شروح المدونة ان فرقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه عليه السلام فهذه الرواية غريبة لا يجب علينا الايمان لعدم قوة سندها فلا حاجة لنا فى تاويلها وتطبيقها على قانون العقل ومع

هذا فيمكن تطبيقها بان تلك القطعة كانت صغيرة قابلة للنزول والخروج من كمه اذ لاصراحة فى تلك الرواية بانها كانت نصف القمر وهذا لااستحالة فيه وقدرة الله تعالى صالحة لذلك ونحن معشر المسلمين لما نقل لنا انشقاق القمر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنقل الصحيح وهو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى آمنا وصدقنا بوقوع ذلك بلا ريب

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوف الشمس مدة من الوقت وردها بعد المغيب وقد روى هذا فى بعض الاحاديث وروى ايضا ان الشمس وقفت عن المغيب ليوشع بن نون عندما كان مع بنى اسرائيل يقاتل الجبارين وذلك معجزة له ايضا والاحاديث فى وقوف الشمس وردها وان كانت آحادية بمعنى ان نقلها لم يكن متواترا قطعى الثبوت بحيث يكفر منكره لكن الايمان بذلك هو الموافق لشان المسلمين والاسلم لهم فى دينهم فنحن نؤمن به ونصدق ووقوف الشمس وردها بعد الغيب وان كان فى نفسه امرا عظيما جدا ولكنه من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يعد عظيما بالنسبة لعظيم قدرته سبحانه وتوضيح ذلك انه سواء اعتبرنا ان الشمس هى التى تسير او ان الارض هى التى تدور على محورها وتمر باوجهها على الشمس كما تقول به الهيئة الجديدة فكلا الامرين لم يكن الا بقدرة الله تعالى فهو الذى يسير الشمس او يدير الارض مقهورة بقدرته وسلطانه والذى يكون قادرا على تحريك كل من هذين الجسمين العظيمين هو قادر على ايقافهما ساعة من النهار او على عكس حركتهما مدة من الوقت ثم اعادة الحركة كما كانت ولايلزم على ذلك محال وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هى التى تدور لو وقفت الارض عن حركتها او انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر اخذا بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويغرق اهلها قلنا ان القادر على ايقاف الارض

او عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للارض فى وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبنى حركته على ناموس عظيم فى الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول اهل الهيئة الجديدة لاجل غرض واحد من البشر وهو «محمدا ويوشع» عليهما السلام لانا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لاجل مجرد غرض واحد من البشر وانما هو لحكمة بالغة وهى اظهار المعجزة الخارقة للعادة التى ينشأ عنها ابتداء الوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذى يهلك نفوسهم الى الايمان الذى يحييها الحياة الابدية وينشأ عنها تثبيت الوف وتمكينهم بالايمان ممن امنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداه وينصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب اعماله فهذه الحكمة العظيمة توازى فى العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها ان تحصل تلك الخارقة لاجلها على ان ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئا يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند البارى تعالى على حد سواء فى ان كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شئ منهما لدى عظمته وان كان فى نظرنا القاصر اننا نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان فى الجواز والامكان ثم انه فى بعض الروايات التى نقلت تلك المعجزة ما يفيد ان الرسول طلب وقوف الشمس اواعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأى الهيئة الجديدة بدوران الأرض انه كان الصواب فى حق ذلك الرسول ان يطلب وقوف الأرض اوعكس حركتها عوضا عن طلب ذلك فى الشمس لأنا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من ان يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك فى الشمس بناء على الظاهر والجارى فى رأى الشعب والمالوف بينهم فى الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود

من طلبه ولايكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نرى اهل الهيئة الجديدة يجرون فى كلامهم على ظاهر ما يبدو لاهل لغتهم ويجرى فى استعمالم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض اوغربت اووصلت الارض امقابلة نور الشمس اوفارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع فى الاستعمال وظاهر ماتعطيه المشاهدة اذا علمت ما قررناه واندفعت عنك تلك الشبهة بما حررناه فاعلم اننا معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام يهدى ويثبت بها الالوف من الانام

ومن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى نقلت الينا فى الاحاديث الشريفة نبع الماء من بين اصابعه فاستقى منه العدد الكثير وتكثير العام القليل حتى شبع منه الجم الغفير فمن يعتقد بوجود الاله سبحانه وقدرته على خلق الاجسام وابرازها من العدم اوقلبها من صورة فلا مانع ان الله تعالى عند طلب الناس من الرسول الماء خلق سبحانه الماء اوقلب الهواء ماء وصار يبرزه للحاضرين من بين اصابع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى اكتفى المستقون للماء وقلب الهواء ماء هو داخل تحت قدرة الكيماويين فى كسبهم وقد ورد قريبا فى المجلات العلمية انهم اكتشفوا قلب الهواء سائلا فما بالك بقدرة خالق الهواء والماء واهل الكيميا وكذلك لامانع ان يخلق الله تعالى طعاما من جنس الطعام القليل الذى كان فى حضرة الرسول ويضيفه اليه ولم يشاهد الحاضرون الا ان الطعام القليل قد كثر وشبع الكثير منه فحيث كان جميع ذلك من الجائزات العقلية وقدرة الله تعالى صالحة لابرازه وقد نقل لنا وقوعه معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آمنا وصدقنا به معشر المسلمين

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام شفاء الامراض العضالة على

يديه بمجرد لمسه لاصحابها اودعائه لهم ورد عين احد اصحابه بعد ما قلعت فعادت احسن ما كانت واحياء الميت بمجرد دعائه وهذه الخوارق قد نقلت لنا بالاحاديث الشريفة فامنا بها وصدقنا لانها جائزه وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو الذى يوجدها على يد رسوله معجزة له وتوضيح ذلك ان شفاء الامراض وان كانت عادة الله تعالى فيه هو ان يكون باسباب وفى زمن ممتد لكن ذلك امر عادى والله قادر على ابرازه بدون ذلك خرقا للعادة كما مر بيانه وارجاع العين المقلوعة وان لم تجر العادة فيه فانه من الجائزات العقلية ولا يحكم العقل باستحالته وانا نرى كثيرا من الاطباء يصلون بعض اجزاء الجسم الحيوانى بعد انفصاله ويلتحم بواسطة العمليات الجراحية ورد العين وان لم يكن داخلا تحت كسبهم وقدرتهم ولكنه داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى الكاملة التى لاتقاس قدرتهم بها واحياء الميت فهو من الجائزات العقلية وان لم تجر العادة به وان القادر على جعل الجماد حيوانا واعطائه الحس والحركة والادراك هو قادر على احياء الجسم الحيوانى بعد ان تفارقه الحياة فمن يتصور عظمة قدرة الله تعالى وعجائب اعماله لا يمتنع من تصديق وقوع هذه الخارقة مادامت تنسب لفعله تعالى

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم نطق الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والشجر والحجر وشهادتها له بالرسالة وقد نقل لنا هذا فى الاحاديث الشريفة وورد فى القرآن المجيد نظيره وهو كلام الهدهد والنملة لسيدنا سليمان عليه السلام وهذه الخوارق هى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وبيان ذلك ان كل شئ فى هذا الكون من اجسام واعراض كالاصوات وغيرها هو بخلق الله تعالى فكلام الانسان الكبير هو لاشك بخلق الله تعالى ونفس طبيعته الحيوانية لاتستلزم صفة الكلام اذ لا فرق بينها وبين طبيعة الحيوانات العجم فى الحيوانية بل فرق بينها وبين الجمادات فى اصل الجسمية كما

ان صورته لا تستلزم صفة الكلام ايضا اذ قد يوجد من انواع القرود ما يشابه الانسان فى الصورة تمام المشابهة الافى اكتساء جلده بالشعر وهذا لا يكون فرقا موجبا لتخصيص الكلام بالانسان الكبير ومع ذلك فلا يتكلم ذلك القرد ولا دليل على وجوب انحصاره صفة الكلام بالانسان بل قد وجد بعض الحيوانات البعيدة المشابهة عنه قابلة لتعلم الكلام وذلك كالطير المسمى بالببغا وفيما قررناه قد ظهر ان نوال الانسان لصفة الكلام ما هو الا بتشريف الله تعالى له بها وان قيل يمكن ان يكون فى الانسان الكبير شيء خفى علينا ولم يوجد فى غيره هو الموجب له صفة الكلام ولعله الذى يسمى بالقوة الناطقة ويعد فصلا للانسان او تكوين خاص فى مخه كما يقول المتأخرون قلنا حصر الموجب للكلام فى هذين غير مسلم على ان الثابت عندنا ان مثل هذا الموجب سبب عادى والله قادر على خلق الكلام بغير واسطته فالقادر على خلق صفة الكلام فيه قادر على خلقها فى غيره من الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والجماد وان كان هذا خلاف العادة فالله تعالى يخرق به العادة معجزة لرسوله فيخلق تلك الالفاظ التى وجدت من ذلك الشيء الذى لم نعهده يتكلم ويصدرها عنه ويسمعها الحاضرون فنحن معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزات لانها من الجائزات الداخلة تحت قدرة رب الارض والسموات

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التى وردت الاشارة اليها فى القرآن المجيد وبينها الحديث الشريف رميه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه الكفار يوم الحرب بكف من تراب فاصاب عين كل واحد منهم شيء من ذلك التراب وانهزموا وهذه الخارقة من الجائزات العقلية اذ لا مانع من وصول شيء من ذلك التراب لعين كل واحد ولكن ليس فى قدرة احد من الناس ان يوصله هذا الايصال ويوزعه على اعينهم هذا التوزيع ولكنه فى قدرة الله تعالى فهو قادر على فعل ذلك معجزة

ارسوله عليه السلام وقد امتن عليه بهذه الخارقة التى صرف بها عنه وعن اصحابه الاعداء فقال فى القرآن الشريف مخاطبا له عليه السلام بقوله وما رميت اذ رميت ولـكن الله رمى يعنى وما رميت حقيقة واوصلت التراب الى كل عين من اعين الـكفار حين رميت ظاهرا لان ذلك ليس فى قدرتك ولـكن الله هو الذى رمى حقيقة واوصل حبات التراب لا عين اعدائك المحاربين فنحن معشر المؤمنين نؤمن بحصول هذه الخارقة معجزة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اخباره بالمغيبات سواء كانت حاضرة فى الزمان غائبة عن العيان او كانت مستقبلة ستأتى ولو بعد مئات من السنين وهذه المعجزة بلغت الاحاديث فى كثرة حدوثها حد التواتر المعنوى وافـراد حوادثها بحر لا ساحل له اما اخباره عليه السلام بالمغيبات التى كانت حاصلة فى زمان وغائبة عن عيانه فذلك كاخباره بوفاة النجاشى وبالظعينة الحاملة الـكتاب الى قريش وفى كتب الاحاديث من ذلك شىء كثير جدا تضيق عنه الصحف فمن اراد الاطلاع على ذلك فليرجع اليها فيرى العجب العجاب واما اخباره بالمغيبات المستقبلة فهو شىء كثير الحوادث منه ما وقع فى حياته ومنه ما وقع بعد وفاته بعد ازمنة قليلة او متطاولة ومنه ما سوف يقع ولنذكر شيئا من هذا النوع مما ورد فى القرآن المجيد او الاحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا انكار فمقول من ذلك ما ورد فى القرآن الشريف ان اصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين وكانت مكة حينئذ فى ايدى المشركين وهم محاربون له ولاصحابه فدخلها هو واصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالى لهم ذلك ومن ذلك قوله فى القرآن غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فكان الامر كذلك فبعد ان غلبت فارس الروم غلبتهم الروم فى بضع سنين اى ما بين الثلاث سنين الى العشر كما اخبر القرآن يعلم ذلك من السير

النبوية والتاريخ وفى القرآن جملة اخبار غيبية يعلم بيانها من كتب التفاسير ومن ذلك ما ورد فى الاحاديث الشريفة كما رواه الشيخان واصحاب السنن والحفاظ الائمة كاحمد والشافعى وابى حنيفة ومالك من انه عليه السلام اخبر اصحابه بالظهور على اعدائهم وبفتح مكة والقدس الشريف والشام واليمن والعراق وظهور الامن فى الممالك الاسلامية حتى تصير المرأة تسافر من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله تعالى فكان ذلك ولله الحمد فى حياته وبعد وفاته عليه السلام واخبرهم بما يفتح الله تعالى على امته وما يؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك وفتحت امته بلاد كسرى وقيصر وقسمت خزائنهما بينهم واخبرهم انه يغدو احدهم فى حلة ويروح فى اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى يعنى تفيض عليهم الدنيا ويأخذون بالتنعم بعد قشف العيش الذى كانوا فيه وكان الامر كذلك وهذا وضع صحفة ورفع اخرى تحقق فى كيفية تناول الطعام الذى يسمى فى اللغة التركية (قالدر) واخبرهم انهم يقاتلون الخزر والروم وبذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وكان الامر على ما اخبر واخبر انه زويت له الارض فأرى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوى له منها وكذلك كان فامتد ملك امته فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند فى المشرق الى بحر طنجة فى المغرب ولم يمتد فى الجنوب والشمال مثل ذلك الامتداد واخبر بالموتان الذى كان بعد فتح بيت المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون عمواس واخبر بما ينال اهل بيته رضى الله تعالى عنهم من التقتيل والتشريد وبقتل سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه فى الطف فكان ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل واخبر عن الحسن رضى الله تعالى عنه بانه يصلح الله به بين فئتين فكان الصلح بسببه بين الفئة التى معه والفئة التى مع معاوية وقال لسراقة احد اصحابه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما اتى بهما لعمر عند فتح بلاد فارس البسهما لسراقة وقال الحمد لله الذى

سلبهما كسرى والبسهما سراقة كما نقله السيوطى فى الجامع الصغير ونقله فى جمع الجوامع عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك ونقل بعضهم عن الامام احمد فى مسند حسن وصححه عن بشر الغنوى لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وقد حقق الله تعالى فتح القسطنطينية على يد ساكن الجنان السلطان محمد الغازى المشتهر بابى الفتح فى عام ثمانماية وسبع وخمسين من هجرة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم واصبحت عاصمة دار الاسلام ومقر خلفية سيد الانبياء العظام وموئل الخاص والعام وما احسن تلك الشهادة من حضرة فخر الكائنات عليه افضل الصلوات والتحيات فى حق فاتح القسطنطينية حضرة مولانا السلطان محمد الغازى بل الله ثراه برضوانه اسكنه فراديس جنانه وفى حق جيشه المؤيد المنصور وما اكرمها من منحة تنشرح بها الصدور كيف وهى من اعظم المناقب الحسان لساداتنا سلاطين آل عثمان مع ما لهم من المفاخر التى لا تعد والمآثر التى لا يحيط بها حد بما فتح الله تعالى على ايديهم من الممالك العظيمة والاقاليم الجسيمة وجمعهم كلمة اهل الاسلام بعد التفرق وانقسام ممالك الاسلام الى اقسام عديدة وحكومات متباينة كل ذلك مع محافظتهم على الشريعة المحمدية المطهرة وتأييد الملة الحنيفية المنورة ونصرتهم مذهب اهل السنة والجماعة - وحمايتهم للممالك الاسلامية وثغورها وتعظيمهم لحملة الشريعة المحمدية من علماء الدين وتعظيمهم ومودتهم لآل بيت سيد المرسلين واشرف النبيين اكراما لجدهم الاعظم واستمدادا لروحانيته صلى الله تعالى عليه وسلم وخدمتهم للحرمين المحترمين والمسجد الاقصى وتشييدهم من الجوامع والمساجد وبيوت الاذكار وجليل الآثار ما لا يحصى وتعدهم بالعطايا صنوف المحتاجين وتطييب قلوب افراد التبعة العثمانيين وبذل ثابت الهمم فى تأييد هذا الدين واقامة شعائر الموحدين ونشر

العلوم والمعارف فى سائر الاقطار وكافة النواحى والاصار الى غير ذلك من المناقب الجليلة والمآثر الجزيلة التى ملاءت الكتب والدفاتر وقصرت عن احصائها اقلام والمحابر فالله المسئول ان يؤيد شوكة مجدد مفاخرهم وموئيد مآثرهم حضرة سلطاننا الاعظم وخليفة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الدهور والازمان ملحوظا بعين عناية سيد الاكوان صلى الله تعالى عليه وسلم آمين آمين وليعلم ان هذه الاحاديث الواردة فى اخباره عليه السلام بالامور المستقبلة قد دون كثير منها فى تأليف العلماء الامة الاعلام قبل ان تحدث وقائعها فى الكون ثم بعد ذلك صارت تحدث واحدة بعد واحدة وتلك التأليفى معلومة مشهورة معلوم تاريخ جمعها وكتابتها هذا حديث فتح القسطنطينية رواه الامام احمد الذى كان قبل فتحها بمئات وكذلك نقله السيوطى فى جمع الجوامع عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك وكل من البخارى والحاكم كان قبل فتحها بمئات ومعاذ الله ان ينقل تلك الاخبار فى كتبهم اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانصار شريعته وتكون غير ثابتة الرواية عندهم فلولا اعتمادهم رواينها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مرروها فى كتبهم باقية على مدى الدهور وهم يعلمون وفور اعداء الدين المبين ومن المعلوم ان سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم كان من العقل فى اعلى الطبقات كما يشهد له بذلك اعداؤه وكيف يقدم عاقل ادعى منصب الرسالة من عند الله واتبعه عليه الالوف على الاخبار بتلك الامور المهمة كفتح القدس والشام والقسطنطينية وامثالها وهو يعتقد ان ذلك لا يكون ويعرض نفسه للتكذيب والطعن فى مستقبل الزمان معاذ الله ان يقدم عاقل على ذلك فليتأمل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله ان الاخبار بالغيب ليس فى طوق البشر من من رسل او سواهم ومن ادعى علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء انه يكفر

وانما الذى يحصل للبشر من ذلك انما هو باعلام الله تعالى لهم وهو سبحانه عليم بما كان وبما يكون فلا اشكال فى ذلك فنحن معشر المسلمين نؤمن بوقوع الاخبار المغيبات من الرسل باعلام الله تعالى لهم عليهم الصلاة والسلام واذا اردنا ان نستوفى معجزات سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم التى ايده الله تعالى بها احتجنا الى كتابة مجلدات ولكن قد ذكرنا منها ما يكون فيه للعقول مقنع وفى الحقيقة ونفس الامر اذا نظر العاقل اللبيب فى نفس شريعته عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والمنافع الدنيوية والاخروية ونظر فى ذاته الشريفة وما خصه الله تعالى به من الشمائل والاخلاق المنيفة مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ربى يتيما ونشأ اميا لا يقرأ ولا يكتب بين قوم اميين ما عندهم من المعارف والفنون عين ولا اثر الا ما فطرهم الله تعالى عليه من الفصاحة والبلاغة ولم يجتمع مع اهل المعارف اجتماعا يؤهله لاكتساب شىء مما جاء به وبلغه للخلق وما جاء به بحر عجاج يستغرق الاحاطة بعشره العمر المديد جزم ذلك العاقل اللبيب ان حاله عليه السلام وحال شريعته هو امر خارق للعادة يحكم العقل بانه معجزة اكرمه الله تعالى بها مؤيدة لدعواه ولكن هذه المعجزة لا يدركها ولا يفهم كنهها الا اهل الدقة فى النظر واذكياء الخلق من البشر لان من سواهم لا يفهم الا المعجزات المحسوسة بحاسة السمع والبصر مثل كلام الحجر والشجر وانشقاق القمر والله تعالى قد ايد نبيه عليه السلام بكلا النوعين من المعجزات كما يظهر مما قدمناه فى بيان معجزة القرآن الشريف وسواها من المعجزات المنقولة فى الحديث المنيف ولنذكر الان طرفا من بيان حال شريعته عليه الصلاة والسلام وحالته الشريفة العظيمة الشان عسى ان ينتفع بذلك بعض اهل هذا الزمان فنقول اذا نظر العاقل المنصف فى شريعة حضرة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم نظر من يريد الاطلاع على الحقائق واحاط باسرارها على قدر الطاقة سالكا اوضح الطرائق

ظهر له ظهور الشمس فى رابعة النهار ان الشريعة المحمدية تأمر بكل خير وتنهى عن شر وضير هى انفع ما يكون للانام على مدى الليالى والايام فيراها تأمر الخلق بالاعتقاد بالعقائد الصحيحة فى حق الله تعالى بوصفه سبحانه بكل كمال يليق بشأن الالوهيه وتنزيهه عن كل نقص تعالى عنه صفة الربوبية وكذلك فى حق الرسل الكرام الذين جعلهم الله تعالى هداة الأنام من نحو اعتقاد عصمتهم من المعاصى وتنزيههم عن كل نقص يخل بمنصب الرسالة وتامر بعبادات هى فى الحقيقة عائدة بالنفع على العباد فتامر بالطهارة وهى معما اشتملت عليه من منافع النظافة والنشاط للابدان تذكار للانسان بالتوبة التى هى طهارة المرء من الذنوب والاثام وتامر بعبادة الصلاة وهى من اعظم المهذبات للنفس بما اشتملت عليه من الخضوع والخشو والركوع والسجود تعظيما لله تعالى وفيها التوسل اليه سبحانه والضراعة لديه وسؤاله الرحمة والمغفرة والاعانة والاستعاذة من العقاب فلذلك كانت وصلة بين العبد وربه وتذكارا له بمن هو الرقيب عليه فلو ان الانسان استغرق فى الغفلة عن مولاه بانهماكه فى اشغال دنياه لطغت نفسه وانساه الشيطان ذكر خالقه وهوّن عليه سلوك سبيل المعاصى والشهوات ولكنه بوقوفه فى اليوم والليل خمس مرات بين يدى مولاه مستحضرا عظمته وجلاله يلتجىء الى التوبة عما جناه وتفتر همته عما من المعاصى نواه وفى ذلك يظهر مصداق قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى اجتماعات الصلوات من صلاة الجماعة والجمعة والعيدين تسهيل سبيل التعارف والتآلف بين المسلمين والتعاضد على نصرة الدين والفة الاطاعة لامير المؤمنين وحكم كثيرة يقصر عنها قلم الكاتبين وتامر بالصوم وفيه تهذيب النفس بمنعها عن شهواتها وتمرين الانسان على ردع نفسه عن المعاصى والشهوات المضرة وتذكار المرء باحوال الفقراء والمساكين وما يجدونه من الم الجوع ولولا الصيام لكان ربما يمر على الغنى عمره

ولا يعلم ما هو الم الجوع فلا يجد للشفقة على الفقراء فى قلبه اثر وتأمر بالزكاة وفيها الاحسان للفقراء والضعفاء بسد حاجاتهم وتهذيب نفس الغنى وتطهيرها عن خلق البخل المذموم وتامر بعبادة الحج وهو زيارة امكنة مخصوصة وعد الله الامة على لسان رسوله عليه السلام بغفران الذنوب وقبول التوبة عندها وفى ذلك اجتماع المسلمين الوفا مؤلفة فى تلك الاماكن وذلك يدعو الى التعارف والتاليف وفيه تذكار ما جرى لرسول الله الكرام وعباده الصالحين فى تلك البقاع المشرفة كتذكار ما جرى لسيدنا آدم عليه السلام ولزوجته هناك من قبول الانابة للمولى وما جرى لسيدنا ابراهيم الخليل ولولده اسماعيل عليهما السلام من الامتحان والطاعتهما للرحمن وبتذكار اعمال اولئك الاخيار وبمحاكاتها فى تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية اعمالهم وعباداتهم والطاعتهم لمولاهم وتشتاق للاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم فى كل مرضى لخلاقهم وفيه زيارة البيت المعظم الذى سماه الله تعالى بيته وهو سبحانه غنى عن المكان وانما ذلك منه تعالى تنزل لافكار البشر الذين اعتادوا على الالتجاء لبيوت ملوكهم عند ما تدهمهم المصائب فالحجاج يلتجؤن الى ذلك البيت مستجيرين من مصائب الذنوب وغوائل المعاصى طالبين منه تعالى الاجارة من بلايا الاثام راجين منه الغفران كما وعدهم على لسان سيد الاكوان وبذلك تطمئن نفوسهم بنوال المغفرة عند امتثال ما امروا به من اعمال عند تلك الامكنة الطاهرة الى غير ذلك من الحكم والاسرار التى يضيق عنها هذا الكتاب المختصر فليرجع بذلك الى كتب الشريعة الغراء المتكفلة بمزيد البيان وتامر تلك الشريعة بكل عمل حسن وتنهى عن كل فعل قبيح مضر بالجسد او العقل او العرض او المال وتامر بالاخلاق المحمودة كالحلم والصبر والرضاء والرحمة والشفقة وتنهى عن كل خلق ذميم كالكبر والحسد والبغضاء والحقد حتى انها ما تركت امرا حسنا الا امرت به وحضت عليه ولا امرا قبيحا الا حذرت منه ونهت عنه وقد جعلت لبعض

المنهيات الظاهرة الضرر عقوبات وحدودا لاجل الزجر عنها كمثل قتل النفس ظلما الذى قبحه لا يحتاج الى بيان ومثل الزنا الذى يقتضى اختلاط الانساب وفقد التناصر وكشرب الخمر الذى يزيل العقل ويوءهل الانسان لارتكاب كل قبيح وكل ذلك ينطوى تحته حكم بديعة واسرار رفيعة تعلم من الاطلاع على كتب هذه الشريعة وكذلك لم تدع بابا من ابواب المعاملات والسياسات البشرية الا وضعت له قواعد وشرعت له اصولا ينتظم بها امر المعاش بين البشر ويستوفى بها كل من القوى والضعيف حقه فبينت اصول البيوع والشركات والانكحة والمواريث والمعاهدات وكيفية الاطاعة لولاة الامر وكل ما يقوم به صلاح الامة من كلى وجزئ يعلم ذلك من اطلاع على كتب الفقه اصولا وفروعا فاتيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الشريعة التى عجز عن الاتيان بها اكبر العلماء واحذق الاذكياء واكبر السياسيين الممارسين سياسة الامم مع انه عليه السلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم ينفق له تعلم من احد البشر فى مدة حياته هو معجزة خارقة للعادة ودليل على ان تلك الشريعة من عند الله تعالى ارسله بها سبحانه لارشاد الخليق الى الحق اما كونه عليه السلام اميا لا يقرأ ولا يكتب فهو امر مشهور متواتر بالتواتر الصحيح الذى جاءت به الميئات والالوف من العدول الثقاة وقد صرح به فى القرآن الشريف فى عدة آيات والقرآن يتلى على رؤس الاشهاد من زمنه عليه السلام الى يومنا هذا ولم ينكر كونه اميا احد من قومه ولا احد وجد بعد زمانه قال الله تعالى فى القرآن الكريم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما انه عليه السلام لم يتفق له التعلم من احد من الناس فلانه نشأ بين قومه فى مكة مشهورا معروفا بينهم لانه من ذوى البيوت واصحاب الحسب ومثله لا يجهل فى بلدته وقومه اميون لم يوجد بينهم من يعرف القراءة والكتابة الا القليل واما من يكون محيطا بعدة معارف ومطلعا على سياسات البشر

وقوانين الامم بحيث يؤهله ذلك لترتيب مثل هذه الشريعة التى جاء بها الرسول عليه السلام فلم يكن موجودا بينهم لا منهم ولا من سواهم اذ مثل هذا لايخفى وجوده فى بلدة مثل مكة وكان يغدو مشهورا بين الخاص والعام ولو قصد ان يخفى نفسه لعسر عليه ذلك وايضا ان تعلم الرسول عليه السلام تلك الشريعة من مثل هذا الانسان المفروض لا يكون فى مجلس او مجلسين بل يحتاج الى اعوام وان يتردد عليه فى كثير من الليالى والايام فليس من الممكن عادة ان يخفى تعلمه منه على جميع اهل بلده مهما تحرى ذلك واجتهد فيه وقد كان بعض المشركين تمسكوا بمثل هذه الشبهة وصاروا يقولون ان (محمدا) يتعلم القرآن من فلان وذكروا رجلا اعجميا كان بينهم فافتضحوا بهذه الدعوى الواضحة البطلان حيث نسبوا تعلم القرآن الذى هو فى اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة العربيتين الى رجل اعجمى ليس عنده ادنى فصاحة ولا اقل بلاغة توجد فى اللسان العربى وقد رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة فى كتابه المجيد فقال سبحانه لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين وان قيل ربما ان (محمدا) عليه السلام تعلم تلك الشريعة من احد الناس خارج مكة فى بعض البلاد الشامية التى روى انه سافر اليها قبل دعوى الرسالة مع جملة من التجار قلنا ان الذى ثبت نقله وصحة روايته انه عليه السلام ما غاب عن مكة فى البلاد الشامية الا عدة ايام تبلغ الشهرين او الثلاثة هى مدة الذهاب والرجوع وقضاء مصالح التجار الذين سافر معهم وتلك المعارف التى ظهرت فى شريعته يحتاج تعلمها الى شهور واعوام وليال كثيرة وايام ولو كان المعلم من ابرع المعلمين والمتعلم من اذكى المتعلمين فاى عاقل يصدق انه عليه السلام تعلم جميع تلك المعارف فى تلك الايام القلائل التى غاب فيها عن بلدة مكة وهو رجل امى لا يقرأ ولا يكتب وتلك المدة لا تكفى لتعلم باب واحد من ابواب تلك الشريعة ولو كان المتعلم كاتبا قارئا على ان

الرسول عليه السلام ماجاء بتلك الشريعة واظهرها للناس دفعة واحدة من اول دعواه الرسالة بل كان يأتى بذلك مفرقا موزعا على الازمنة من اول دعواه الى ان تم دينه وانتشر بين الامم الذين اتبعوه فى مدة اثنتين وعشرين سنة فكان يبلغ احكام شريعته وجميع مشتملاتها للناس شيئا بعد شئ على حسب المقتضيات والمصالح والحوادث والمشاكل والسؤالات والشبه الواردة من اخصامه فيأتى فى مقابلة كل شئ بما يطبقه وفق المرغوب وهذه الكيفية معلومة لنا بالضرورة بما نقل من سيرته وكيفية تمام امره نقلا صحيحا متواترا وحينئذ يقال ما الذى اعلم ذلك المعلم الذى يدعى الخصم انه علم الرسول عليه السلام بجميع الحوادث المستقبلة التى سوف تقع وتتفق له بينه وبين اخصامه او اتباعه سواء قيل ان ذلك المعلم من نفس مكة او من خارجها فعلمه قبل دعواه الرسالة جميع ماينا سب الحوادث التى سوف تحدث معه فى مدة دعواه فعرف جواب كل سؤال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل حادثة وحل كل مشكلة وصار عليه السلام يورد لكل شئ ما يناسبه ويجب له فى وقته مسددا مقنعا للافكار وانا نرى من تلك الحوادث ما لا يخطر فى بال احد انه سوف يقع اوينتفى وقوعه الى آخر الزمان ومن يطلع على ما حدث من الحوادث فى مدة دعواه الرسالة يعلم ان احاطة احد بجميع ما سوف يحدث فى تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال عادة ولا يقول به الا مكابر وقد كان عليه السلام فى اكثر احواله يرد عليه السؤال اوالشبهة ويجيب عن ذلك فى مجلسه فى الملأ العام بين جماهير اصحابه واعدائه المشركين ولم يشاهد احد حينئذ انه يلتفت الى واحد من الحاضرين ويسائله متعلما منه ما يلزم له من الجواب اويضطر اليه من الخطاب بل هو المجيب والمدافع والمفيد والمعلم وكل من لديه تلامذة متعلمون فاين هذا المعلم للرسول الذى يزعمه الخصم ما هذا الزعم الا افتراء بارد فقد ظهر الحق لذوى الانصاف وتبين ان اتيان سيدنا (محمد) الامى بهذه الشريعة الغراء

معجزة من معجزاته وان دعوى تعلمه من احد من البشر هى دعوى باطلة لايقول بها الاكل جاهل باحوال سيرته وتاريخ حياته اومعاند مكابر للحق هدانا الله تعالى الى ما فيه النجاة آمين

واما حاله عليه الصلاة والسلام فى ذاته الشريفة واخلاقه وشمائله المنيفة فقد نقل لنا العدول وصح لنا الأخبار البالغة بكثرتها درجة التواتر ان سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم قد وهبه الله تعالى المحاسن خلقا وخلقا وجمع الله تعالى فيه الفضائل الدينية والدنوية اما حسن صورته وخلقته فقد ثبت النقل الصحيح انه عليه السلام كان احسن الناس صورة واجملهم خلقة فكان على مايرام من المحاسن والجمال الباهر كما قال فيه بعض واصفيه

واحسن منك لم تر قط عينى واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبراءً من كل عيب كانك قد خلقت كما تشاء

وقد افردت محاسن ذاته الشريفة بالتاليف فليتشرف بالاطلاع عليها من اراد واجمع ما وصفه به الواصفون قول بعض من شاهده عليه السلام هو اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب يتلاءلاء وجهه تلاءلاء القمر ليلة البدر من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وتخصيص الله تعالى له بحسن الصورة هو من جملة الحكم الالهية فان الله تعالى بعثه داعيا للخلق وحسن الصورة مما تالفه الانفس وتاتى به الاعين فتقبل عليه كما ان قبح الصورة منفر مشرد واما وفور عقله عليه السلام وذكاء ليه فقد صحت الاخبار وتواردت النقول انه كان عليه السلام اعقل الناس واذكاهم ومن نظر الى تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة وتاليفه اجلاف البوادى واخشان الجبال وتهذيبه لهم حتى اصبحوا من اكمل الناس اذبا ومعرفة وسيرة فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه عليه السلام لاول

بديهة وهذا لايحتاج الى تقرير الدليل لتحققه بالمشاهدة فى عصره وتواتره بعد ذلك بين طوائف العالم وقد اعطى عليه السلام جوامع الكلم وخصص ببدائع الحكم وافرد الناس جوامع كلمه وبدائع حكمه بالتأليف فمن ذلك قوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له وقوله ما هلك امرؤ عرف نفسه وقوله المستشار مؤتمن وهو بالخيار حتى يتكلم وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم اوسكت فسلم وقوله ان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الأمور اوسطها وقوله احبب حبيبك يوما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله السعيد من وعظ بغيره الى غير ذلك من جواهر الكلام وجوامعه وبديع الحكم التى يقصر عن استيفائها القلم واما حلمه عليه السلام وعفوه وصبره فقد كان فى الدرجة العليا من هذه الاخلاق فقد صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها ولما آذاه المشركون اشد الاذى قيل له لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون نعم اخذ يدعو على القبائل التى غدرت بجملة من قراء الصحابة وقتلتهم ظلما غيرة منه عليه السلام على حرمة الله التى انتهكت فى قتل اولئك المؤمنين المظلومين ولما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء كف عن الدعاء عليهم وفوض الأمر اليه تعالى وكم هم اناس بقتله غدرا وقبض عليهم فعفى عنهم وكم جافاه اجلاف العرب فلا طفهم فهو كما نقل وصفه فى الكتب القديمة انه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وكم صبر على مقاساة قريش وصابر الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى

اهلا كه لهم عن آخرهم فما زاد على ان عفا وصفح عنهم وقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء والآثار فى ذلك كثيرة وكلها تدل على انه عليه السلام كان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى واما جوده وسخاؤه وسماحته عليه السلام فقد كان بحرا ذاخرا فى هذه الاخلاق الكريمة فما روى ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان (محمدا) يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل ورد على هوازن سباياهم وكانوا ستة الاف وقوم ما وهبه لهوازن فكان خمسماية الف الف والروايات فى ذلك اكثر من ان تحصى واما شجاعته ونجدته عليه السلام فقد كان منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح قال على رضى الله تعالى عنه كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد اقرب الى العدو منه واما حياؤه واغضاؤه فقد كان عليه الصلاة والسلام اشد الناس حياء واكثر هم عن العورات اغضاء فكان لا يشافه احدا بما يكره حياء وكرم نفس حتى كان اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله ولم يكن عليه السلام فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فهو امر مشهور فورد انه كان اوسع الناس صدرا والينهم عريكة واكرمهم عشرة وكان يولف المسلمين ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم يتفقد اصحابه ويعطى كل جليس نصيبه ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم اباوصاروا عنده فى الحق سواء كان دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ ولا

عياب ولا فحاش ولا مداح وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافى عليها قال انس رضى الله تعالى عنه خدمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فماقال اف قط وما قال لشىء صنعته ولا لشىء تركته لم تركته ولا دعاه احد من اصحابه او من اهل بيته الا قال لبيك وكان يمازح اصحابه ولايقول فى مزاحه الا حقا ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين فى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وما اخذ احد بيده فيرسله بيده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له ويبتدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة ويعزم عليه بالجلوس عليها ان انى ويدعو اصحابه باحب اسمائهم اليهم وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته واذا فرغ عاد الى صلاته وروى عن انس رضى الله تعالى عنه كان خدمة المدينة ياتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة اى الصبح فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك فى الغداة الباردة يريدون التبرك به واما شفقته ورحمته على امته فذلك امر مشهور وشواهده لا تحصى وقد كان يسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته رحمة بامه ويكفى بالدلالة على ذلك انه ما خير بين امرين الا اختار ايسرها فجزاه الله تعالى عنا كل خير واما خلقه بالوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فهو شهير موفور وقد روى انه وفد عليه وفد النجاشى ملك الحبشة الذى كان قد هاجر الى بلادة جملة من الصحابة فاكرم مثواهم فقام صلى الله تعالى عليه وسلم يخدم اولئك الوفد بنفسه فقال اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم واقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه فجلست عليه ثم اقبل

اخوه من الرضاعة فقام فاجلسه بين يديه وقد ورد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه يصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضعين ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق واما تواضعه عليه الصلاة والسلام مع علو منصبه ورفعة رتبته فكان اعظم الناس تواضعا واعدمهم كبرا كان يقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وكان يدعى الى خبز الشعير فيجب ويا كل مع الخادم وحج على رجل رث وعليه كساء من صوف لا يساوى اربعة دراهم وقد اهدى فى ذلك الحج مائة بدنة وكان فى بيته فى مهنة اهله ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويكنس البيت ويعلف البعير ويخدم نفسه ويحمل ما يشترى من السوق مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا واما عدله وعفته وصدق لهجته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اعدل الناس واعفهم واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك اعداؤه وكان يتحاكم اليه فى الجاهلية قبل الاسلام وورد انه ما لمست يده يد امراءة قط لايملك رقها وما خير فى امرين الا اختار ايسرها ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وقد جزء نهاره ثلاثة اجزاء جزءا لعبادة ربه وجزءا لمصالح اهله وجزءا لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقد كان معروفا بالصدق بين قومه من اول نشاءته حتى دعوه (بمحمد) الامين وقال بعض المشركين بعد بعثته انا لا يكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله تعالى فى القرآن المجيد قوله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون واما وقاره وصمته وحسن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شىء من

اطرافه وكان كثير السكوت لا يتكلم من غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لافضول فيه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة اذا تكلم اطرق جلساؤه كأن على رؤسهم الطير وكان احسن الهدى هديه وكان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر واما زهده فى الدنيا فحسبنا منه تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سبقت اليه بجملتها وترادفت عليه فتوحاتها بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد لتوسع فيها واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها وحسبنا ما ورد انه ماشبع من خبز شعير يومين متواليين وما ترك دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولم يترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة وقد كان فراشه جلدا مدبوغا وحشوه ليف وكان ينام احيانا على سرير من خوص النخل حتى يؤثر بجنبه الشريف عليه الصلاة والسلام وكان يبات جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء لجمع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت احدى نسائه كنت ابكى رحمة له مما اراه وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغ من الدنيا بما يقوتك فيقول مالى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم ما بهم واجزل ثوابهم فاستحى من الله ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى واذا اردنا استيفاء جميع اخلاقه الحميدة وعموم صفاته المجيدة احتجنا الى تطويل لا يحتمله هذا الكتاب المراعى فيه الاختصار وبما ذكرناه يظهر للعاقل المنصف المتدبر ان اختصاصه عليه السلام بتلك المحاسن وتحليته بهذه المكارم مع انه تربى يتيما بين امة جاهلية تغلب عليهم القسوة والجور وخشونة الطباع وعدم التهذيب ما كان ذلك الا بمحض عناية من الله تعالى به واقامته بمنصب رفيع ومقام جليل ومن تكون فيه تلك الصفات

الكاملة والاخلاق الفاضلة والعقل الثاقب والراى الصائب ما كان ليتلبس بصفة الكذب والاحتيال ويخدع الناس بزخارف المحال ويدعى افتراء على الله تعالى انه رسوله قد اختاره واصطفاه على من سواه انا نرى العاقل منا يمنعه عقله ويابى عليه ضميره ان يكذب كذبة واحدة على رجل مثله اودونه وتانف نفسه الشريفة ان يقدم على ذلك ولو اضطره الحال فكيف ان من كان عقله فى اعلى درجات الكمال وهو متصف باشرف الخصال يقدم بالكذب على الاله الكبير المتعال ويمارس ذلك على مر الايام والليال معاذ الله ان يقدم على ذلك من له ادنى عقل وافل كمال ثم الغريب من احوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل احواله غريبة وهو دليل على صدقه واعانة الله تعالى له انه قلب حال الامة التى قام بينها وهى امة جاهلية مغموسة فى بحار الجهالات والضلالات فى العبادات والعادات فرفعها من حضيض الرذائل الى اوج الفضائل فبدل جورها بالانصاف وخشونتها باللين وجهلها بالعلم والمعرفة وعداوتها بالمحبة والالفة ومحاربتها الجورية بالسلام والامان وشقاءها بالنعيم وضلالها بالهدى الى الصراط المستقيم وعصيانها بالطاعة وفرقتها بالجماعة وضعفها بالقوة وخيانتها بالامانة وفحشها بالعفة والصيانة وقد كان عندها من حميد الشمائل الكرم ولكنه مشوب بالتبذير والاسراف والشجاعة ولكنها معلولة بالجور والاعتساف فعدل عليه السلام خصالها وهذب اخلاقها حتى اصبحت خير الامم واكرم العالم وسرى ذلك الى الامم الاخرى التى اعتنقت دينه المبين فاصبحوا من خيار الصالحين وكل ذلك جرى على يديه عليه السلام بواسطة شريعته التى هى منهج السعادة وبحسن سيرته وصفاء اخلاقه وكمال سياسته ولا شك ان ذلك منه كان امرا خارقا للعادة يعد من اعظم المعجزات عند ذوى الانصاف وقد اشتبه على بعض الاجانب عن الدين المحمدى لما راوا ان الجهاد مشروع فيه فظنوا ان هذا الدين ما تم امره الا بالسيف والارهاب وهى شبهة باطلة علقت فى فكر من لم يطلع على سيرة رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم واوّل نشاءته وقيام دينه المبين واما من عرف ذلك فلا يجد لهذه الشبهة عينا ولا اثرا وبيان ذلك ان الذى ثبت نقله نقلا صحيحا فى سيرته عليه السلام وبدء امره انه لما قام فى دعوى الرسالة فى مكة المكرمة كان وحيدا فريدا ليس صاحب سلطان ولا معتمدا على عصبة عشيرة بل انه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم كان اول مكذب له عشيرته وعادوه اشد المعاداة وسلطوا عليه اشرارهم بالاذى والاضرار وهو التزم طريق الهداية والارشاد فصار يقيم البراهين على صدق دعواه ويورد المواعظ ويؤلف القلوب بكل ممكن ويأمر باوامر شريعته المورثة الخير وينهى بنواهيها عن كل ما يورث الضير ومضى له على ذلك مدة تبلغ عشر سنوات وهو مقيم فى مكة ولم يأمر باراقة قطرة دم لاعدائه بل يتلو قرآنه المشتمل على قوله تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى وقوله فى خطاب من اتبعه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقوله ومن كفر فعليه كفره الى غير ذلك من الايات وهاجر من مكة الى المدينة وهو ملتزم لهذه الطريقة مدة من اقامته فى المدينة وقد اتبعه مع تلك الحال والطريقة الجم الغفير من اهل مكة واهل المدينة وطوائف العرب كما يعلم من مراجعة سيرته وقبلت شرعه العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحة ولا خوف هناك ولا ترهيب لكن لما ظهر للعقول السليمة والانظار القويمة ان المخالفين الذين لم يتبعوه عليه السلام لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلا عن ضلالهم وغشهم لانفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن اذاه عليه السلام واذى اتباعه كلما سنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد ويقيمون فى سبيل دينهم المعاثر ويخترعون لهم بدائع الاضرار ويعاملونهم معاملة الاشرار ووجدان دوام المعاملة بالرفق لاولئك المخالفين يزيد طغيانهم ويشوش امر

الدين على اتباعه اذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد الاعداء والاخصام الالداء والاغرار البلداء استبدالا للترغيب مع هؤلاء الاشرار بالترهيب ودفعا للاذى والفساد وقطع جرثومة العناد اذ قد يسمح بالاشرار لسلامة الاخيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من البوار ولكن شرع الله ذلك الجهاد فى شريعة سيدنا (محمد) عليه السلام على حدود تبقى للرفق مجالا وللشفقة والعدل منالا حتى لو قوبل جهاده مع الجهاد المشروع فى الشرائع المتقدمة كشريعة سيدنا موسى عليه السلام لوجد ان فى جهاد شريعة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم تخفيفات لم توجد فى سواه يعلم ذلك من الاطلاع على شوون الشريعتين وفيما قررناه ظهر ان تلك الشبهة التى يزعم صاحبها ان الدين المحمدى قام بالسيف هى شبهة ظاهرة البطلان مهدومة الاركان والحق الحقيق بالقبول انه ما كان اساس الهدى والسعادة لنا ولا سلافنا الا بنور شريعة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم وبهديه وارشاده فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع درجته فى اعلى عليين فعلينا معشر المسلمين مداومة محبته وتعظيم جنابه الشريف وفداءه بالارواح ومن محبته عليه السلام تعظيم شرعه واطاعة اوامره واجتناب نواهيه كما قيل ان المحب لمن يحب مطيع واما الشخص الذى يدعى محبته وهو مخالف لشرعه فحاله يكون مكذبا لدعواه وشاهدا عليه بخبث الطوية ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة اهل بيته وعترته وتعظيم حملة شريعته واكرامهم والاحسان اليهم ومن كمال محبته عليه الصلاة والسلام معرفة نسبه الشريف من جهة ابيه ومن جهة امه حتى قال بعض العلماء بوجوب ذلك فاما نسبه من جهة ابيه فهو سيدنا (محمد) بن عبد الله * بن عبد المطلب * ابن هاشم * بن عبد مناف * بن قصى * بن حكيم * بن مرة * ابن كعب * بن لوى * بن غالب * بن فهر * بن مالك * ابن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن الياس * ابن مضر * بن نزار * بن معد * بن عدنان * وليس فيما بعده الى آدم عليه الصلاة

والسلام نقل صحيح واما نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة امه فهو سيدنا (محمد) بن آمنة بنت وهب * بن عبد مناف * بن زهرة * بن حكيم * فتجتمع معه عليه السلام فى جده حكيم ومن كمال محبته عليه السلام معرفة اسماء اولاده رضى الله تعالى عنهم وهم سبعة على الصحيح سيدنا القاسم * وسيدتنا زينب * وسيدتنا رقية * وسيدتنا فاطمة * وسيدتنا ام كلثوم * وسيدنا عبد الله وهو الملقب بالطيب والطاهر * وسيدنا ابراهيم * وكلهم من سيدتنا خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها الا سيدنا ابراهيم فمن مارية القبطية

ومن حسن الادب مع حضرته عليه الصلاة والسلام اعتقاد نجاة ابويه اما بالاعتماد على قول من يقول بنجاة اهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام وهما من جملتهم واما بالاعتماد على ما ورد فى بعض الاثار ان الله تعالى احياهما له حتى آمنا به وذلك جائز داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى

واعلم انه قد دلت النصوص الشرعية وانعقد اجماع الامة المحمدية على ان سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث من الله تعالى الى الناس كافة بل الى الثقلين الانس والجن لا الى العرب خاصة كما زعمه بعض الكفار وانعقد اجماع الامة ايضا على انه خاتم الانبياء والمرسلين لا نبى بعده فشرعه عليه السلام لا ينسخ الى آخر الزمان اى لا يرفع بشرع سواه وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض فى آخر الزمان انما يحكم بشرع نبينا عليه السلام لا بشرع جديد وعدم قبول سيدنا عيسى للجزية هو من جملة شرع نبينا لان قبول الجزية فى الشرع المحمدى غايته الى نزول عيسى عليه السلام وقد انعقد الاجماع ايضا على ان شرع نبينا ناسخ لسائر الشرائع المتقدمة اى ناسخ اكثر احكامها غير العقائد منها واما العقائد كالايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهى ثابتة فى سائر الشرائع وحكمة نسخ شريعة باخرى هى اختلاف

المصالح بحسب الأزمنة مثلا المصلحة فى زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة فى زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشريعة نبينا وبهذا ظهر سقوط شبهة من يقول من الكفار انه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى اذ يقال له ان الله تعالى من الازل عالم بمصلحة كل امة وزمانها فرتب قديما لكل امة شريعة وارسل رسولا بكل منها وجعل المتاخرة ناسخة للمتقدمة فاين الخفاء على الله تعالى وانعقد الاجماع ايضا على ان نبينا عليه الصلاة والسلام افضل الخلق اجمعين لا يفضله احد من مخلوقات الله تعالى ثم الراجح عند العلماء ان الأفضل بعد نبينا سيدنا ابراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح وهؤلاء الاربعة مع نبيناهم اولوالعزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى ثم سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل من الملائكة ثم بقية رؤساء الملائكة ثم عوام البشر والمقصود منهم اولياؤهم غير الانبياء كأبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ثم عوام الملائكة وقد ثبت فى الاحاديث النبوية ان قرنه عليه السلام اى اصحابه هم خير القرون المتقدمة والمتأخرة ماعدا الانبياء والرسل والصحابى هو من اجتمع بالرسول عليه السلام مؤمنا به ومات على ذلك وافضل اصحابه عليه السلام خلفاؤه الاربعة على ترتيب خلافتهم فاولهم فى الفضل ابو بكر الصديق ثم سيدنا عمر بن الخطاب ثم سيدنا عثمان بن عفان ثم سيدنا على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم وافضل القرون بعد قرنه عليه السلام قرن التابعين وهم الذين اجتمعوا بالصحابة اجتماعا متعارفا ثم قرن اتباع التابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومما انعقد عليه اجماع الامة ان النبوة خصيصة من الله تعالى لا تكون مكتسبة للعبد ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعى تكليفى سواء امر بتبليغه ام لا وكذلك الرسالة لكن بشرط ان يؤمر بالتبليغ واما

الولاية فالاظهر عند العلماء فيها التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المامورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدنى ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك

ولنختم مبحث المعجزات ببيان بقية خوارق العادات فنقول قد علمت ان الامر الخارق للعادة اذا ظهر على يد مدعى الرسالة من عند الله تعالى او النبوة يسمى معجزة فاما اذا ظهر للرسول قبل دعواه النبوة او الرسالة كما ورد ان سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تظلله الغمامة قبل ارسال الله تعالى له وادعائه الرسالة فيسمى هذا ارهاصا اى تأسيسا للرسالة واما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد ظاهر الصلاح والعدالة وليس عنده دعوى النبوة والرسالة فيسمى كرامة ونحن معشر المسلمين من اهل السنة والجماعة نؤمن بكرامات الاولياء لورود النصوص الشريعة بذلك ونقل الاخبار الكثيرة بوقوع خوارق العادات للكثير من الصالحين اكرمهم الله تعالى بها لاجل ان يحترموا بين الناس او ليقبل ارشادهم وموعظتهم اذا اقامهم الله تعالى فى مقام الارشاد اولتفريج كروبهم وقضاء حوائجهم اذا احتاجوا الى ذلك وكل ذلك فضل من الله تعالى عليهم ولا يجب عليه تعالى شىء من ذلك والاولياء جمع ولى وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصى (بمعنى انه اذا ارتكب معصية بادر الى التوبة وليس المراد انه لا تقع منه معصية اذ ليس هو معصوما) المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحة واما اصل التناول للذات المباحة فلا مانع منه لاسيما اذا كان بقصد التقوى على طاعة الله تعالى واما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد مستور الحال لا ظاهر الصلاح ولا ظاهر الفسق فيسمى معونة اى اعانة من جانب الله تعالى واما اذا ظهر على يد ظاهر الفسق فيسمى استدراجا بمعنى ان الله

استدرجه باظهار ذلك على يده فيتمادى بفسقه ثم اذا اخذه الله تعالى لم يفلته والعياذ بالله تعالى وهذه الاقسام الخمسة من خوارق العادة تكون على وفق مقصد من تظهر على يديه وبقى قسم آخر وهو ان يقع الامر الخارق المعادة للمرء على خلاف ما يطلبه كما روى ان مسيلمة الكذاب الذى ادعى الرسالة فى زمن نبينا عليه السلام قد بصق فى عين رجل لتشفى فعميت الاخرى ويسمى هذا القسم من خوارق العاده خذلانا اى تكذيبا وغزيا من الله لذلك الكاذب ولا اشتباه بين هذه الاقسام وبين المعجزة لان المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة او النبوة كما تقدم موافقة لمقصد من تظهر على يديه وغيرها ليس كذلك كما انه لا اشتباه بين الكرامة التى تظهر على يد ظاهر الصلاح غير مدعى الرسالة او النبوة موافقة لمطلبه وبين بقية الاقسام والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

« فى بيان الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام »
« والايمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى »
« على رسله والقضاء والقدر »

اعلم انه يجب على كل مكلف شرعا الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو ان يعتقد اعتقادا جازما بوجودهم وانهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يأمرون وقد وردت النصوص الشرعية بجميع ذلك وحقيقتهم عند اكثر المسلمين انهم اجسام لطيفة اعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات وقد وردت النصوص الشرعية بما يفيد انهم اقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الحافون حول العرش ومنهم اكابر الملائكة كجبريل

وميكائيل واسرافيل ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون ببنى آدم ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم بالتدبير ومنهم رسل الله الى انبيائه بالوحى ودلت النصوص ايضا على انهم قادرون على الاعمال الشاقة العظيمة التى يعجز عنها الوف البشر بل جميع البشر الى غير ذلك مما ورد فى حقهم فى القرآن والاحاديث وقد اتفق ائمة المسلمين كما يؤخذ من الشفاء الشريف على عصمة المرسلين منهم بالوحى الى انبياء البشر كما عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن اختلف العلماء فى عصمة غير المرسلين من الملائكة وقال الفخر الرازى والجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب وقد تمسك المخالفون فى عصمتهم بامور منها ان ابليس كان من الملائكة فعصى الله تعالى وكفر ونحن نقول ان ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة كما حققه الامام الرازى وغيره من العلماء ومنها قصة هاروت وماروت ونحن نقول اما الآية التى وردت فيهما وهى قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) فالذى تلخص من كلام امام الرازى فى تفسيره ان السحرة كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة ويجعلون تلك الاعمال السحرية معجزاتهم فبعث الله تعالى هذين الملكين لاجل ان يعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك السحرة الذين يدعون النبوة كذبا ولا شك ان هذا من احسن المقاصد فهذان الملكان كانا لا يعلمان احدا السحر حتى يبذلا النصيحة فيقولا له انما نحن فتنة اى محنة يتميز بها المطيع من العاصى فهذا الذى نصفه لك

من السحر وان كان القصد منه ان يظهر به الفرق بين السحر وبين المعجزة ولكنه يمكنك ان تتوصل به الى المفاسد والمعاصى فاياك بعد وقوفك عليه ان تستعمله فيما نهيت عنه اوتتوصل به الى شىء من الاغراض العاجلة ثم ان القوم تعلموا منهما السحر واستعملوه فى الشر وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه ثم قال الرازى واتفق المحققون على ان العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور يعنى وانما المحظور العمل به وتقرير الآية بهذا الوجه لا اشكال فيه ولا يدل على معصية الملكين المذكورين كما هو ظاهر بل يكونان قد امتثلا امر الله تعالى فى التعليم كما لااشكال فى انه كيف ينزل الله تعالى عليهما السحر المنهى عنه لان المحرم هو العمل به لا تعلمه لاجل مقصد حسن واما ما روى من ان هذين الملكين قد مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراءة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فنقول ان هذه القصة قد اختلف العلماء فى صحة نقلها فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لانه ليس فى كتاب الله تعالى ما يدل على ذلك بل فيها مايبطلها من وجوه ثم بين تلك الوجوه وقال الامام البيضاوى عن هذه الرواية انها محكى عن اليهود وقال ابو السعود فى تفسيره انها مما لا يعول عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل وقال القاضى عياض فى الشفاء الشريف ان هذه الاخبار يعنى المذكورة فى قصة هاروت وماروت لم يرو منها شىء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هو شىء يوخذ بقياس واذا علمت ذلك فنحن يسوغ لنا الاخذ بقول هؤلاء الائمة الاعلام والاعتماد على ما رجحوه فى عدم صحة هذه الرواية ولا يجب علينا اعتقاد هذه القصة فى هذين الملكين وعلى فرض صحة روايتها كما قال به بعضهم فنقول لعلها من باب ضرب

الامثال والرموز كما ذكر احتمال ذلك البيضاوى، وابو السعود وبين شيخى زاده والسيلكوتى فى حاشيتهما على البيضاوى كيفية ذلك التمثيل اولعل الرواية فى هذه القصة هى حكاية لما قاله اليهود وزعموه من جملة اقاصيصهم فبطلانه فى نفسه لا ينافى صحة الرواية التى حكته لنا عنهم وعلى هذا حمل السيلكوتى قول البيضاوى محكى عن اليهود وعلى كل فلا تعارض هذه القصة عصمة جميع الملائكة والله تعالى اعلم

ومما وردت به النصوص الشرعية ويجب الايمان به ان على كل عبد حفظة من الملائكة وكاتبين يكتبون اعمال العبد من حسنات وسيئات وهذه الكتابة يكفر منكرها لتكذيبه القرآن قال تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون لكنها ليست الحاجة دعت اليها لاحاطة علم الله تعالى بكل شئ وانما فائدتها ان العبد اذا علم بها استحى وترك المعاصى والكتب حقيقى بالة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى حملا للنصوص على ظواهرها مع عدم الاستحالة فى ذلك والله اعلم ومما وردت به النصوص الشرعيه ايضا وجود ملك يقبض الارواح اى يخرجها من مقرها فيجب الايمان بذلك وورد ان اسمه عزرائيل وان له اعوانا بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة بخلاف غيره وسنذكر فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى الشبه الواردة فى شأن الملائكة فانظره هناك ويجب على كل مكلف شرعا الايمان بالكتب المنزلة من الله تعالى على الرسل عليهم الصلاة والسلام فنؤمن بان لله تعالى كتبا انزلها على رسله وبين فيها امره ونهيه ووعده ووعيده وافضل الكتب المنزلة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل ثم الزبور وكلها كلام الله تعالى واعلم ان كلام الله يطلق معنيين على المعنى الاول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التى ليست بحرف ولا صوت كما قدمناه فى بحث صفاته تعالى والمعنى الثانى هو الكلام اللفظى المنزل

على الرسول ومعنى انه كلام الله تعالى انه بمجرد خلقه وليس لاحد فى اصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ما تدل عليه صفة الكلام القديمة لانها تدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كما مر فى بحث الصفات وهذه الالفاظ المنزلة على الرسل تدل على بعض ما تدل عليه تلك الصفة القديمة فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الصفة القديمة طلب اقامة الصلاة مثلا نفهم ذلك من قوله تعالى فى القرآن اقيموا الصلاة وعلى المعنى الثانى يحمل قول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله ومن انكر ان ما بين دفتى المصحف كلام الله فقد كفر الا ان يريد انه ليس الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ الذى نقرأه حادثا ومخلوقا لا يجوز ان يقال كلام الله او القرآن حادث او مخلوق الا فى مقام التعليم لانه لاطلاقه بالمعنى الاول على الصفة القديمة ربما يتوهم ان هذه الصفة حادثة او مخلوقة ولذلك ضرب الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وحبس على ان يقول بخلق القرآن فلم يقل ثم اعلم ان جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها وبعض احكامها والله تعالى اعلم

ومما يجب شرعا على كل مكلف الايمان بالقضاء والقدر كما وردت النصوص الشرعية بهما وكما امرنا بالايمان بهما فقد نهينا عن الخوض فى مباحثهما ولكن لما كان الايمان بهما لا بد فيه من تفسير معناهما نقول ان المنقول عن الماتريدية فى تفسيرهما ان القدر هو تحديد الله تعالى ازلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك اى علمه تعالى ازلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم وان القضاء ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الازل فقد تبين ان القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الالهى الازلى بالاشياء وتعلق القدرة الالهية بها وهذا قد مر بيانه عند بيان ما يتعلق من صفات الله تعالى بالاشياء وما لا يتعلق ولكن لما كان

خطر الجهل فى فن التوحيد عظيما صرح العلماء بوجوب الايمان بالقضاء والقدر ولاسيما انه قد صرح بالايمان بهما فى صحيح الاحاديث ثم اعلم انه وان وجب الايمان بالقدر لكن لا يجوز الاحتجاج به لا قبل الوقوع توصلا الى الوقوع بان يقول الشخص قدر الله تعالى على الزنا مثلا وغرضه بذلك التوصل الى الوقوع فى الزنا وللشرع الحجة عليه فى ذلك اذ يقال له من جانب الشرع وما ادراك انه قدر عليك من الازل ذلك حتى تقدم عليه فاقدامك على الذنب ليس الا لهوى نفسك وباختيارك وبذلك تؤاخذ عليه ولا بعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعى ونحوه بان وقع شخص فى الزنا مثلا وقال قدر الله تعالى على ذلك وغرضه التخلص من الحد وللشرع الحجة عليه ايضا اذ يقال له انك اقدمت على الذنب ولا علم لك بتقديره عليك ازلا فاقدامك عليه ما كان الا لهوى نفسك وجراءتك على الله تعالى وبذلك تؤاخذ ويجب عليك الحد والله تعالى اعلم

الفصل الخامس

« فى الايمان باليوم الاخر وما يشتمل عليه وبالبعث وما يتقدم »
« ذلك من احوال الموت والقبر وما يتبع ذلك »
« ورد الشبه التى ترد فى هذا المقام »

اعلم انه مما يجب على كل مكلف شرعا الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة واوله من وقت الحشر وينتهى بدخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار والواجب الايمان به وبما يشتمل عليه كما يجب الايمان بما يتقدمه من العلامات التى ثبتت بالنصوص الشرعية وبما يتقدمه ايضا من قبض الروح واهوال القبر وامثال ذلك مما ثبت فى النصوص الشرعية الصحيحة وتفصيل جميع ذلك فيما سيتلى عليك فنقول قد وردت

الایات والاحادیث الصحیحة واتفق اهل السنة والجماعة ان لکل انسان روحا جرت عادة الله تعالی انها اذا کانت فی جسده کان حیا واذا فارقته حله الموت وان عمر کل انسان مقدر بتخصیص الله تعالی لا یزید ولا ینقص حتی المقتول فانه میت باجله فاذا انقضی اجل الانسان قبض روحه الملك الموکل بقبض الارواح وهو ملك من اکابر الملائکة یسمی بعزرائیل فهو یقبض الروح ای یخرجها من مقرها ثم بعد وضع الانسان فی قبره یعید الله تعالی الیه الروح ویرد الیه من الحواس والعقل ما یتوقی علیه فهم الخطاب ویتأتی معه رد الجواب ثم یأتیه فی تلك الحالة ملکان ویسماء لانه عن معتقده والحکمة فی هذا السؤال ان یظهر لدی الملائکة المؤمن والمطیع وغیرهما ویترتب علی ذلك اما تنعم المیت فی قبره واما عذابه ویستثنی من هذا السؤال من وردت الاحادیث باستثنائه کالانبیاء وغیرهم کما هو مبسوط فی کتب الاحادیث ثم ان المیت اما ان یتنعم فی قبره ان کان مؤمنا مطیعا واما ان یعذب والمعذب اما ان یدوم عذابه الی یوم القیامة واما ان ینقطع کما فی بعض عصاة المؤمنین ومن احوال القبر ضغطته وهی التفاء حافیته علی المیت ولا ینجو منها احد الا من استثنی فی الاحادیث کالانبیاء ثم اذا تصرم الزمان وقرب یوم القیامة ظهرت له علامات منها العلامات الصغری التی ظهر منها فی هذا الزمان الکثیر ومنها العلامات الکبری وهی عشر ظهور المهدی وخرج الدجال ونزول سیدنا عیسی علیه السلام وخروج یأجوج ومأجوج خروج الدابة التی تکلم الناس وطلوع الشمس مغربها وظهور الدخان ویمکث فی الارض اربعین یوما یصیب حتی یصیر کالسکران ویصیب المؤمن منه کهیئة الزکام وخراب الکعبة علی ید الحبشة بعد موت عیسی علیه السلام ورفع القرآن من المصاحف والصدور ورجوع اهل الارض کلهم کفارا ثم ینفخ فی الصور النفخة الاولی فیموت اهل الارض والسموات والصور هو شیء کالقرن کبیر جدا ینفخ فیه سیدنا اسرافیل احد

كبراء الملائكة ثم بعد مضى زمان طويل والخلائق موتى ينفخ فى الصور مرة اخرى فيبعث الله تعالى الموتى من قبورهم ويحشرهم الى الموقف وهو الموضع الذى يقفون فيه لفصل القضاء واجراء حسابهم ومن اهوال الموقف طول الوقوف فيه ودنو الشمس من رؤس الخلايق حتى تكون على قدر الميل وخوضهم فى العرق الذى هو انتن من الجيفة ويكون خوضهم فيه على قدر اعمالهم حتى ان بعضهم يلجمه العرق الجاما وسؤال الملائكة لهم عن اعمالهم وتفريطهم فيها وشهادة اعضائهم وجلودهم والارض والحفظة الكرام عليهم ولا يصيب شيء من تلك الاهوال الانبياء والاولياء وسائر الصلحاء ثم بعد اشتداد هول الموقف يشفع سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى وهى شفاعته فى فصل القضاء بين جميع الخلائق عند ما يشتد الهول عليهم ويطول وقوفهم فيستشفعون به فيشفع لهم عند ربه فى ذلك وبعد ذلك له شفاعات كثيرة منها شفاعته فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته فى عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها فى اخراج العصاة الموحدين من النار ومنها فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها ومنها غير ذلك كما جاء فى الاحاديث الشريفة ويشفع غيره عليه السلام من الانبياء والرسل والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والاولياء ويأخذ العباد صحفهم وهى كتبهم التى كتبت فيها الملائكة ما فعلوه فى الدنيا وتوزن افعال العباد بميزان وجمهور المفسرين على ان الموزون هى الكتب التى اشتملت على اعمال العباد بناء على ان الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر ويجب علينا الايمان بالوزن والميزان وتفويض علم حقيقة ذلك الى الله تعالى وتحاسب الخلائق اى يوقف الله تعالى الخلائق على اعمالهم خيرا كانت اوشرا قولا كانت او فعلا تفصيلا بعد اخذهم كتبها ويرون الحساب للمؤمنين والكافرين ويستثنى من ذلك من وردت الاحاديث باستثنائه ثم يمر الخلائق على الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم

یمر علیه الاولون والاخرون وهو طریق الناس الی الجنة فالمؤمنون الطائعون والذین غفرت سیئاتهم یمرون علیه ویخلصون الی الجنة والکفار وبعض عصاة المؤمنین الذین حکم علیهم بالعذاب فی جهنم مدة یسقطون فی نار جهنم فی حالة مرورهم علی الصراط ومرور الناجین یختلف فی السرعة والبطوء حسب مقاماتهم والحکمة فی المرور علی الصراط ظهور النجاة من النار وان یتحسر بفوز المؤمنین بعد اشتراکهم فی المرور مما اشتمل علیه یوم القیامة وجود حوض عظیم لسیدنا (محمد) صلی الله تعالی علیه وسلم یرده المؤمنون ویشربون منه عند العطش الاکبر ثم ان الله تعالی خلق دارین عظیمتین اعداهما دار النعیم وهی الجنة وفیها من النعیم الذی اعده الله تعالی لعباده المؤمنین ما علی عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر وثانیتهما دار العذاب وهی جهنم اعد الله تعالی فیها من العذاب والعصاة ما ترجف عند ذکره القلوب وتقشعر الجلود اعاذنا الله تعالی منها وهاتان الداران مخلوقتان وموجودتان کما دلت علی ذلك الآیات والاحادیث وبعد انقضاء حساب الخلائق ومرورهم علی الصراط یدخل الجنة المؤمنون الطائعون من جمیع الامم وعصاة المؤمنین الذین غفرت سیئاتهم او ادرکتهم شفاعة ویدخل جهنم وعصاة المؤمنین الذین حکم علیهم بالعذاب مدة اما الکفار فلا یخرجون منها ابدا واما العصاة المؤمنون فمآلهم الخروج منها ودخول الجنة بعد انقضاء مدة عذابهم او نوالهم شفاعة ثم یدوم اهل الجنة خالدین فی الجنة واهل النار خالدین فی النار ابد الآبدین ودهر الداهرین وکل ما مر فقد ثبت بالآیات الکریمة والاحادیث الشریفة وهو مذهب اهل السنة والجماعة ویجب الایمان به علی کل مکلف شرعا والله تعالی اعلم

« توضيحات يندفع بها بعض الشبه الواردة »
« على ما مر فى هذا المقام »

اعلم انه قد ترد بعض الشبه على بعض ما ذكره هنا فى هذا المقام ولكن هى عند من يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته وواسع علمه ويعتقد بان الله تعالى هو الذى اوجد هذه الاكوان من العدم وصورها على صور تشتمل على دقائق الحكم لا يصعب عليه الايمان بجميع ما مر ولا رد تلك الشبه عن عقيدته بقاطع البرهان وواضح التبيان واما من لم يكن مؤمنا بوجود ذلك الآله العظيم فالصواب فى حقه اولا ان تقام له الادلة على وجوده تعالى ثم بعد ذلك تكشف شبهته فى امثال هذه العقائد وتوضيح رد تلك الشبه ان يقال ان الذى ثبت فى النصوص الشرعية ان للانسان روحا تتعلق بجسده ويتسبب عنها حياته واذا فارقته بقبض الملك لها حله الموت فبعض علماء الاسلام خاض فى البحث عن حقيقة هذه الروح ولكن لم يقم معه برهان قاطع شرعى او عقلى على بيان حقيقتها وبعضهم وهم اهل الطريق الاسلم ترك الخوض فى هذا البحث اذ لم يرد عن الشارع دليل على حقيقتها بل قد ورد فى الشرع ما يشير الى ان ترك البحث عن حقيقتها هو الاولى وعلى طريقة هؤلاء العلماء يكفى فى تصديق النصوص الشرعية الواردة فى وجود الروح ان يعتقد المكلف ان لكل انسان روحا وهى شىء موجود الله اعلم بحقيقته وليس بالقول بوجوده ما يخالف العقل وعدم الاحساس به كما يقوله بعض الجهلة بانا لا نرى شيئا يخرج من فم الميت عند موته لا يقتضى عدمه اذ ربما يكون عدم الاحساس به لطافته كالهواء او كالاثير الذى يقول به الطبيعيون المتاخرون اولدقته جدا كالحيوانات الصغيرة جدا التى توجد فى المياه وكثير منها لا يرى حتى بالمجسمات للمرىء اولغير ذلك وكونه بتلك اللطافة او الصغر وتنشأ عنه الحياة لاغرابة فيه

فكم من عقار او نبات لطيف او صغير جدا تنشأ عنه حوادث عظيمة لاتحدها العقول وكذلك شرارة النار اذا لامست كمية كثيرة من الاجسام القابلة للالتهاب وكما فى الجزء الصغير من السم اذا دخل الجسد وما يحدث عنه وامثال ذلك كثير مما هو لطيف اوصغير تنشأ عنه حوادث عظيمة فلا غرابة فى تسبب الحياة فى الجسد عن الروح وان كانت امرا لطيفا اوصغيرا جدا لاسيما ان الحياة لا تنشأ عن الروح بطبيعتها بل بخلق الله تعالى والروح انما هى سبب عادى فلا اشكال فى ذلك اصلا ثم وان تكن الروح بتلك اللطافة او الصغر فلا مانع ان يجعل الله تعالى للملك قدرة على قبضها واخراجها من الجسد الا ترى لمغناطيس قد جعل الله تعالى فيه خاصية جذب الحديد فيجذب الطق وادق برادة منه ولو لم تر بالعين ولا بمجسمات المرئ وكل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا شئ يوجب الاشتباه ثم لما وردت نصوص الشريعة بوجوب اعتقاد البعث اى ان الله تعالى يعيد الاموات يوم القيامة ويحييهم كان المشركون فى عصر الرسول عليه السلام يوردون الشبه على القول بالبعث ويقولون كيف يحيى الله تعالى الاموات بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق اجزائهم بين اجزاء الارض فكان القرآن الشريف يرد عليهم تلك الشبه فى آيات كثيرة بما معناه ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم لا يعجزه شئ مهما كان عظيما ولا يخفى على علمه شئ مهما كان دقيقا خفيا والذى اوجد الكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر على اعادة الاموات بعد الفناء واحيائهم للحساب والجزاء ويضرب لهم سبحانه الامثال التى تقرب ذلك لعقولهم بان الله تعالى يحيى الارض بعد موتها بانزال المطر عليها فتصبح مخضرة مزهرة بهجة بعد ان كانت قاحلة يابسة لاترى فيها اثرا للحياة الى غير ذلك من الامثال التى ترفع عنهم شبه البعث التى قامت عندهم ثم ان علماء الشريعة الاعلام لما وجدوا للفلاسفة المنكرين

للبعث شبها اخرى يزعمون فيها حصوله محالات عقلية على القول بالبعث فان اولئك العلماء رحمهم الله تعالى ان الواجب شرعا على كل مكلف ان يعتقد بحصول البعث والاعادة وان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا عقليا والله اعلم كيفية ذلك ولا يلزمنا لصحة الايمان بالبعث ان نبين الكيفية التى يجريها الله تعالى فى امر البعث بل نفوض علمها اليه تعالى ولكن للمحافظة على افكار الضعفاء فى الدين من الاضطراب فى توضيح ذلك من الممكن ان المعاد من الجسم بالبعث هو جميع اجزاءه الاصلية اى الباقية من اول العمر الى آخره لا الاجزاء الفضلية التى تتكون فى الجسم من الاغذية ثم تتحلل ويخلفها غيرها وهلم جرا واذا كان الامر كذلك فما المانع من الله تعالى العظيم القدرة الواسع العلم يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها فى اجزاء اصلية لحيوان آخر يأكل انسانا وان دخلت فى تركيب الاجزاء الفضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بتلك الاجزاء الاصلية للانسان ويضم اليها اجزاء فضلية يكمل بها مقدار الانسان وهيكله كما كان قبل الموت سواء كانت تلك الاجزاء عين ما كانت قبل موت الانسان او غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم والتعذيب انما هو لمجموع الروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية التى هى حقيقة الانسان بعد ان فارقتها واعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة واعيدت اليها اجزاء فضلية كمل بها هيكل الانسان الذى كان قبل الموت واذا كان الحال كذلك فلا يقال من شبه اولئك الفلاسفة ان الانسان المنعم او المعذب هو غير الذى كان قبل الموت ولا يقال ان الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا اكل انسان انسانا وصارا بالاغتذاء واحدا ولا يقال ان مادة واحده حاصلة لاناس كثيرين حيث ان المشاهد على ظاهر الارض

اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فى الارض زروع كثيرة وغرس فيها اشجار واغتذى منها الناس وانعقد ذلك فى ابدانهم لحما ودما لا نا مع جميع ذلك نقول ان الاجزاء الاصلية التى كانت مع الروح المتعلقه بها قبل الموت انسانا هى بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث ذلك الانسان بعينه وقدرة الله تعالى وعلمه يصلحان لاجراء هذه الكيفية التى لا تتضمن محالا اصلا وعدم احساسنا بها لا يستلزم عدمها اذ يحتمل اننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية التى هى حقيقة الانسان اما لدقتها واما للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل فى حيز الخفاء محجوبة عن حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل والملخص ان نصوص الشريعة نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد انه سيكون على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التى قررناها كافية وافية فى اقناع العقول ودفع الشبه كما لا يخفى على المتأمل المنصف وان كنا غير مكلفين باعتقاد هذا التفصيل الذى شرحناه بل الذى نكلف به الايمان بالبعث على وجه لا يستلزم محالا كما تقدم ثم نقول وفى القول بالاجزاء الاصلية التى مر شرحها تندفع الشبه عن نعيم القبر وعذابه اللذين وردت بهما النصوص الشرعية اذ يقال ما المانع ان الله تعالى يجعل للروح تعلقا خاصا بتلك الاجزاء الاصلية بحيث تحس بالنعيم او العذاب وهى فى القبر ونحن وان كنا نشاهد الجسد قد تفرق وتلاشى ولا حياة فيه فتلك الاجزاء الاصلية يجرى فيها التنعيم والتعذيب ولا نرى شيئا من ذلك لخفائها عن ابصارنا لدقتها وللطافتها وكذلك تندفع الشبه الواردة على ما جاء من نصوص الشريعة ان بعض الناس هم احياء عند ربهم يرزقون كالشهداء فانه يقال ايضا لا مانع ان الله تعالى يجعل لارواحهم تعلقا خاصا باجزائهم الاصلية بحيث تكون حية حياة تقبل الرزق والتنعيم

بنوع مخصوص هو الذی اخبرت عنه النوص وان کنا لانری ذلك وکل ذلك من الجائزات العقلیة التی لا تستلزم محالا و داخلة تحت تصرف قدرة الله تعالی ومن اطلع علی ما یقوله المتأخرون من الطبیعیین فی احوال الحیوانات الصغیرة التی لا تری الا باکبر المجسمات للمرئ من ان لها ادراکا واحساسا وسعیا علی معاشها واحتراسا علی حیاتها ومقاتلة لبعضها البعض واحتیالا علی تحصیل رزقها وغیر ذلك لم یستبعد ما قررناه فی حق الاجزاء الاصلیة للانسان وقبولها لتعلق ارواحها بها واحساسها بما یریده الله تعالی لها من نعیم او عذاب من غیر ان نشعر نحن بشئ من ذلك والله علی کل شیء قدیر

ثم ما ورد من اعضاء الخلق وجلودهم والارض تشهد علیهم هو من الجائزات العقلیة الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالی کما تقدم توضیح نظیره فی بیان معجزات الرسل من ان منها نطق الجمادات فحیث ان الله تعالی هو الخالق لصفة الکلام فی الانسان ولا یتوقف خلقه لها علی حیاة ولا غیرها کما اقیم علی ذلك البرهان فلا مانع انه تعالی یخلق فی تلك الاشیاء الکلام وتشهد علی العصاة باعمالهم وحکمة ذلك تخویف العباد من ارتکاب المعاصی عند ما تخبرهم الرسل ان اعضاءهم وجلودهم والارض التی یعصون علیها تشهد علیهم یوم القیامة وایضا اظهار عظمة قدرة الله تعالی فی ذلك الیوم وظهور بالغ حجته علی العباد ولله الحجة البالغة ثم ان الصراط الذی یمد علی متن جهنم لمرور الناس علیه کما تقدم شرحه لیس فیه شئ یستبعده العقل لکن فی بعض روایات وردت فی وصفه لیس من الروایات المتواترة وان اشتهرت ان الصراط یکون ادق من الشعرة واحد من السیف وهذه الکیفیة قد یستبعدها بعض الضعفاء وان کانت من الجائزات العقلیة الداخلة تحت تصرف قدرة القادر العظیم ومع ذلك فقد نازع فی صحة ذلك بعض العلماء الاعلام کالعز بن عبد السلام والشیخ القرافی والبدر

الرز كشى كما نقله الباجورى على الجوهرة قالوا وعلى فرض صحة تلك الرواية فهو محمول على غير ظاهره بان يؤل بانه كناية عن شدة المشقة زاد القرافى ان الصحيح ان الصراط عريض وله طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وعلى هذا التقرير فلا اشكال يبقى هنا حتى على افكار الضعفاء ويكفى المكلف الايمان بوجود الصراط ولو على هذه الكيفية والله تعالى اعلم

ثم مما تقدم فى العلامات الكبرى ليوم القيامة طلوع الشمس من مغربها والذى ورد فى ذلك فى الحديث الشريف انها تطلع من مغربها حتى تتوسط السماء ثم تعود فتغرب فى جهة المغرب وتستمر بعد ذلك على عادتها الاصلية وهذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فمن يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته لا يصعب عليه الايمان بذلك وقدمر توضيح جواز هذا الامر فى نظيره من وقوف الشمس ورجوعها معجزة لسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم ولسيدنا يوشع عليه السلام عند بيان معجزات الرسل وقررنا ذلك هناك باوضح بيان فارجع اليه ان شئت فى فصل المعجزات والله تعالى اعلم

ثم مما تقدم ايضا من تلك العلامات خروج يأجوج ومأجوج وهما امتان عظيمتان قد جاء ذكرهما فى القرآن الشريف وان ذا القرنين سد عليهما طريق خروجهما من ارضهما بالسد الذى اصطنعه وان ذا القرنين قال مامعناه ان هذا السد اذا جاء وعد ربى جعله دكا اى منهدما وفسر المفسرون مجىء وعد الله بمجىء يوم القيامة اى قربه وقد جاءت احاديث صحيحة بتفصيل خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان وان ذلك من علامات القيامة الكبرى فوجب على كل مكلف الايمان بذلك وما يقال من ان علماء الجغرافيا قد ساحوا الأرض ولم يعثروا على محل يأجوج ومأجوج فهو كلام لا يمنع صدق تلك النصوص الشرعية الواردة

بوجودهم فى الارض وبيان ذلك انا نقول اولا لا نسلم ان الجغرافيين ساحوا جميع بقاع الارض ولم يدعوا بقعة منها الا وردوها وانما ساحوا البقاع المسكونة او القريبة منها وكم من بقاع كثيرة واودية وجبال توجد فى اطراف الارض لم تطؤها اقدامهم لا سيما فى الاطراف الشمالية خلف جبال الجليد ونهاية المنطقة المتجمدة الشمالية كما يعلم ذلك من الاطلاع على شروحهم المسطورة فى كتبهم ولعل هاتين الامتين توجدان فى بعض بقاع الاطراف التى لم يصل اليها احد من اهل الجغرافيا وثانيا قد قال علامة المفسرين الامام الرازى رحمة الله تعالى ان الاظهر ان موضع السد هو فى ناحية الشمال ولا يخفى على العارف بتخطيط الارض ان جهات الشمال بعد سيبريا توجد جبال جليدية لا تنقطع عنها الثلوج فى جميع الفصول ولا يمكن لاحد فى هذه العصور سلوكها ومن المعلوم ايضا انه يوجد بعدها مسافة من الارض ممتدة الى انتهاء الارض وحينئذ نقول ما المانع انه يوجد خلف تلك الجبال اراض منخفضة عنها بحيث يتسبب عن انخفاضها خفة الثلوج عنها بحيث تصلح لسكنى البشر وان يكون يأجوج ومأجوج ساكنين فى تلك الاراضى المنخفضة ومن الجائز ان يكون فى زمان ذى القرنين الذى مضى عليه الى هذا الزمان الوف من السنين يوجد واد منخفض موصل لتلك الاراضى وطريق لها وكانوا يخرجون منه للامم المجاورين لهم خارج تلك الجبال ويقاتلونهم فسد عليهم ذو القرنين مسلك ذلك الوادى وحصرهم خلف تلك الجبال وصاروا غير قادرين على الخروج من الوادى لوجود السد ولا يمكنهم تسلق الجبال لوجود الثلوج عليها ثم بعد ذلك حدثت حوادث جوية وتتابع نزول الثلوج حتى سدت ذلك الوادى وملأته حتى ساوته بالجبال التى حوله وخفى اثره ثم عند قرب يوم القيامة يذوب الثلج منه باسباب جوية او ارضيه كالزلزلة ويتيسر للامتين المذكورتين هدم السد والخروج من

ذلك الوادى طبق ما جاءت به النصوص الشرعية ووجود الحوادث الجوية التى توجب تراكم الثلوج فى بعض الاماكن ميئات من من السنين ثم زوالها لحوادث اخرى غير مستحيل لا عقلا ولا عادة بل اذ فتشنا التاريخ نجد لذلك شواهد ظاهرة كثيرة على وجه الارض وقدرة الله تعالى صالحة لاجراء تلك الاعمال كلها واتمام ذلك التدبير وحيث كان ذلك جائزا داخلا تحت تصرف القدرة الآلهية وقد وردت النصوص بخروج هاتين الامتين فى آخر الزمان فنحن نؤمن بذلك ونصدقه وبما قررناه ارتفعت الشبهة التى مستندها سياحة الجغرافيين هذا واما ما يذكر فى بعض الكتب ان محل يأجوج ومأجوج فى المحل الفلانى من الاقاليم القريبة المعمورة وان الملك الفلانى الاموى اوالعباسى ارسل الى السد من نظره الى غير ذلك من الاخبار فهى من تاليفات القصاص لا اصل لها يعتمد عليه وان اغتر بنقلها بعض المؤلفين والله تعالى اعلم

ثم مما ذكر فى تلك العلامات ليوم القيامة نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء وهو امر جائز عقلا كما ان صعوده الى السماء عند ما طلبته اليهود لتقتله هو امر جائز ايضا ولا يترتب على ذلك ادنى محال فما المانع ان الله تعالى يصعده وينزله بواسطة الملائكة الذين اعطاهم الله تعالى القدرة على الصعود والهبوط بين السماء والارض كما يأتى بيان ذلك ويحفظ الله تعالى حياته من جميع ما يتوهمه المتوهمون فى حق من يصعد الى فوق كرة الهواء فان احتياج الانسان لتنفس الهواء ما هو الا امر عادى والله تعالى قادر على حفظ الحياة بدونه وكذلك من تلك العلامات خروج الدابة التى تكلم الناس هو امر جائز والله تعالى قادر على اعطاء الدابة صفة الكلام وكذلك وجود الدخان فى الارض اربعين يوما كل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية لاشئ من ذلك يستلزم

مجالا فنؤمن بجميع ذلك ونصدق به ولله تعالى حكم فى جميع ما تقدم من احوال البعث والسؤال والميزان والصراط وغير ذلك تجد كثيرا منها مذكورا فى مطاوى كلام علماء الاسلام والله يتولى هدانا اجمعين

ولنختم هذا الباب بذكر ادلة عقلية على حصول البعث والجزاء وهى وان لم تكن برهانية قاطعة فهى اقناعية تذعن عندها العقول وتطمئن لها القلوب وبتواردها بمجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث والجزاء ولا يعير للشك اذنا صاغية اعلم ان البعث والجزاء وان كان المشهور ان دليل جوازهما عقلى كما علمته مما مر ودليل حصولهما بالفعل شرعى وهو النصوص الشرعية الواردة فى القرآن الشريف والحديث المنيف لكن اذا دقق النظر وجد ان حصولهما دلائل عقلية اقناعية تطمئن لها القلوب كما قلنا فاستمع ما يتلى عليك كلام العلماء الاعلام فى ذلك فنقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود آله العالم واتصافه بصفات الكمال من الحكمة والعدل والرحمة لخلقه لا شك ان كل معتقد لذلك يظهر له ان من حكمته تعالى وعدله بعد ان خلق الخلق واعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدرا بها يقدرون على الخير والشر ان يمنعهم عن سوء اعتقادهم به وعن الجهل والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح ويرغبهم فى عمل الخير واتصافهم بالاخلاق الفاضلة التى ينتظم بها معاشهم ومن المعلوم ان هذين الامرين لا يتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير حاصل فى دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا يقال انه يكتفى فى الترهيب والترغيب بما اودع فى العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الى الانهماك فى السهوات الجشمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض بين ما تدل عليه العقول وبين الهوى والنفس

فلا بد من مرجح قوى ومعاضد كامل وما ذلك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك

ثم من حكمة السلطان الحكيم الرحيم ان يبعث نفوس رعيته للعطف على الفقراء ليعينوهم بشيء من الاموال على مصالح معاشهم واللائق بالاغنياء ان تكون تلك الاعانة منهم على وجه الرغبة وانشراح الصدر وبذلك يصلح حال الفقراء ويندفع عنهم الشقاء ويفارقهم العناء فى الجملة وحيث ان النفوس مفطورة على حب المال ولاتسمح بصرف شيء منه الا اذا وجدت عوضا هو خير منه فكان من حكمة الله تعالى ان يجعل دارا غير هذه الدار يكافئ فيها بالخير المتصدقين على الفقراء والمساكين ويجازى مانعى الصدقات والزكوات بما يستحقون فاذا علم الاغنياء بوجود دار اخرى وانهم يكافؤن فيها على الصدقة بعشر امثالها فحينئذ ينفقون على الفقراء والمساكين برغبة وانشراح صدور لما يرجونه من نوال الاجور بل يرغبون ايضا فى الصدقات الجارية التى لا تنقطع فيرصدون الاوقاف الجسيمة ويشيدون للصلوات والاذكار واطعام الطعام المساجد والزوايا والتكايا العظيمة فينتج عن ذلك من الخيرات ما لا يدخل تحت الحصر وكل ذلك ناشيء عن الرغبة فى نعيم الدار الآخرة والنجاة من عذابها ولو لا ذلك لما كان من تلك المآثر الخيرية الا اقل القليل

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم اقرياء وبعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوى والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله ورحمته ان ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل فى هذه الدار لاننا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهانا فى غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض والظالم يبقى فى غاية العزة والقدرة فلا بد من دار اخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف

ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان اخس من جميع الحيوانات فى المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان فى الدنيا اكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها فى الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتأمل واما الانسان فبسبب ماله من العقل يتفكر ابدا فى الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب اكثر الاحوال الماضية انواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب اكثر الاحوال الآتية انواع من الخوف فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة فى الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية اما اللذات الجسمانية فهى مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السرقين فى مذاق الجعل طيب كما ان افخر الحلويات فى مذاق الانسان طيب فلو لم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم ان كل ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت انه لو لا حصول السعادة الاخروية لكان الانسان اخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعا علمنا انه لابد من الدار الآخرة والانسان خلق للآخرة لا للدنيا نعم ان هذه الدار هى كالممر بين الاخيار والاشرار ليجزى الاولون بالثواب والآخرون بالعقاب لان كل من كان شريرا فالنار اولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات هذه الدار الفانية فلذلك نراها موفورة للكثير من اهل الزيغ الاشرار منغصة على كثير من اهل الايمان الاخيار

ومن هذا المقام يعلم ان مذهب المنكرين للمعاد شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام اصلا ومع هذا يمتنع العمران وقولهم بان نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات الانسانية وهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام

نقول فى جوابه انهم قد غفلوا عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات لايقامها مجرد القوانين التى يقيمها العلم السياسى فلابد من وازع اخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجر ان سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافئة على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر والا فليتأمل العاقل فى الانسان اذا كان يعتقد انه مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من وجوده الا لذاته الحيوانية التى ينالها مدة حياته فهماسن له العلم السياسى من الضوابط لمعرفة ما له وما عليه فاذا قدر على قتل سواه واخذ ما له الذى يبلغ الملايين بدون ان يطلع عليه احد من الناس اوهتك اشرف عرض وبلوغ لذة بدون اطلاع احد فهل يظن ان تلك القوانين التى سنها له العلم السياسى تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ومن المعلوم ان الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدرى به حق الدراية لا يأمن له فى شىء الا اذا وجد مرتبطا بالدين وانا نرى ان بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها من بعض افرادها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلا شك ان فسادها يصير عظيما جدا على اننا نرى الامم التى انتشر بينها العلم الدنيوى لاسيما السياسى فى هذا الزمان لا تزال آخذة فى سبيل الشرور بل كلما ازداد ذلك العلم بينها ازدادت شرورها وفشا بينها الزنا الذى يضيع الانساب ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقل بالمسكرات والاحتيال بفنونها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من الاخلاق الممقتة بنظام الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لان علومها التى برعت فيها ليس لها فى اعتقاد المعاد نصيب وبالظن ان تلك الامم لو لابقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار واخذت تمحى من لوح الوجود ومما يضحك الثكلى ان القوم الذين ينكرون البعث

والمعاد لما لاحظوا ان العلم لايتكفل بنظام الهيئة الاجتماعية الا اذا كان تاما عاما فى جميع الأفراد الأنسانية اشترطوا فى تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم قالوا لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له الوف من الاجيال فهم فى رفضهم لاعتقاد المعاد وتمنيهم فى العلم هذه الأمانى الواهية مثل الطبيب الاحمق الذى يقول للمريض بالمرض القتال اترك الحمية وكل ما شئت وانى بعد كذا وكذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاؤك فالى ان يأتيه بذلك الدواء يكون المريض قد هلك واصبح عظاما نخرة على انه ليس من حسن التدبير وكياسة الرأى والاخذ بالحزم مع عدم اعتقاد اولئك المنكرين للمعاد ان يجاهروا به بين العموم حتى يروا ان العلم الذى يزعمونه بمجرده متكفلا بحفظ نظام العالم قد تم وعم والافهم بمجاهرتهم بهذا القول الباطل قد فتحوا باب الدمار على العالم ونعوذ بالله تعالى ان يشيع هذا الفكر بين الأمم ومعاذ الله تعالى ان يشيع والعقول تاباه هدانا الله واياهم لما فيه خير الأنام

والنصيحة لهولاء المنكرين ان ياخذوا بالحزم والاحتياط ويتصوروا انهم اذا صدقوا بالمعاد وتاهبوا له فاذا كان حقا نجوا وان كان باطلا لم يضرهم هذا الاعتقاد غاية ما فى الباب ان يقال انه تفوتهم اللذات الجسمانية لكن هذه اللذات يجيب على العاقل ان لايبالى لامرين احدهما انها فى غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنفاس والديدان والثانى انها منقطعة سريعة الفناء والزوال فالحرص عليها لا يساوى ترك الحزم والاحتياط فى الامر الذى تخشى عواقبه والله الموفق

الباب الثالث

« فى رد شبه عن نصوص شرعية تعتمد فى الاعتقاد »

« اوالتوقيف بينها وبين ما يثبت بالدليل العقلى »

« القاطع مما ينافى المعانى الظاهرة لتلك »

« النصوص وفيه اربعة فصول »

اعلم اننا فى هذا المقام نحتاج الى ثلاث مقدمات

« المقدمة الاولى »

ليعلم ان النصوص الشرعية التى يعتمد عليها فى الاعتقاد كما يعتمد عليها فى احكام العبادات واحكام المعاملات هى الآيات القرآنية وبعض احاديث نبوية ثبت نقلها لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثبوتا قطعيا تسمى بالمتواتر اوبعض احاديث ثبت نقلها عنه عليه السلام ثبوتا قريبا من القطعى يوجب طمانينة القلب والطمانينة هى فوق الظن ودون اليقين وتسمى هذه الاحاديث بالمشهور ثم ان كل نص من هذه النصوص يجب علينا ان نعتمد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ولا يسوغ لنا تأويله وصرفه الى معنى اخر غير متبادر الا اذا قام دليل عقلى قطعى يناقض معناه الظاهر فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلى قرينة دالة لنا على ان معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى اخر غير ما يتبادر منه فنؤل النص حينئذ ونصرفه الى معنى اخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال يكون قابلا له وغير مناقض القطعى هذه هى القاعده الكلية فى النصوص الشرعية التى اعتمدها اهل السنة والجماعة وانما لم يجز ارادة غير المعنى الظاهر من النص الا لداع يدعو اليه لان الاصل فى التخاطب ارادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه اذ ارادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللا فى الافادة والاستفادة وفى ذلك من المفاسد ما لا يخفى وانما انحصر الداعى الى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلى القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذى ثبت به صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وهو العقل اذ

لولاه لما امكننا الاستدلال على صدقه عليه السلام بدلائل المعجزات ورفض العقل يوجب رفض الشرع واما معارضة الدليل العقلي الظني فلاتكون داعيا لترك الظاهر من معنى النص لان رفض الدليل الظني لايوجب رفض العقل كما هو واضح لاحتمال ان هذا الظن باطل في نفس الامر فلو تركنا الظاهر من النص لاجل الدليل الظني لكنا في معرض ان يكون اعتقادنا خطاء لاعتمادنا على الظن وحينئذ لا تعذر في ذلك اذ لاضرورة تدعونا اليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي القطعي على ان اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب واختبلاطا في الاعتقاد لايحد فان الظنون كثيرة والاعتقاد في الشرائع انما يعتمد فيه اليقين فكان الصواب ان يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورود ولا يتحول عنها لمجرد الظنون

ثم قد يوجد في الاحاديث النبوية نصوص لا تتوفر في نقلها عن الرسول عليه السلام الشروط التي تبلغ بها درجة المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت ورودها يقينيا بل ظنيا وتسمى بالآحاد يعتمد عليها في احكام العبادات والمعاملات ولا يجب ان يعتمد عليها استقلالا في الاعتقاد حيث انها ظنية والاعتقاد لايعتمد على الظن ولكن اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء في الاحكام لا يجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلي لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور الموجب انكارهما الكفر او التضليل والعياذ بالله تعالى نعم اذا اكتنف الاحاد ما يقويها ويجعلها يقينية الثبوت فيعتمد عليها حينئذ في الاعتقاد كما قيل في حديث عذاب القبر والله تعالى اعلم

« المقدمة الثانية »

اعلم انه لا يجب علينا شرعا من الاعتقادات الا ما قام عليه الدليل العقلي القاطع الذي لا يحتمل النقيض او ماقام عليه الدليل الشرعي بان نقل لنا عن الرسول عليه السلام آية قرآنية او حديث

متواتر او حديث مشهور يدل على ذلك ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه السلام فيما ثبت عنه قطعيا واما اذا نقلت لنا مسئلة اعتقادية عن اكبر علماء الامة الاسلامية من غير اظهار دليلها العقلى القاطع او دليلها الشرعى الثابت قطعيا عن الرسول عليه السلام فلا يجب علينا تقليده فى تلك المسئلة لاسيما اذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد فى الاعتقاد نعم اذا اوّل بعض العلماء الذين يعتمد عليهم فى فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتاويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والاصول العربية فالاخذ بتاويله سائغ غير مضر فى عقيدتنا اذا ظهر لتاويله داع قوى مثل الدليل العقلى القاطع الذى يحمل على التاويل وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الاخذ بتاويله هو الصواب ولا يقال اننا قلدنا ذلك العالم فى الاعتقاد وانما يكون اعتقادنا معتمدا على النص وقلدناه بفهم النص وتاويله لانه هو اعلم منا بذلك فمن هنا يظهر لك خطاء بعض اهل هذا العصر فى تقليد فلان الفلكى او فلان الجغرافى او فلان الجيولوجى المشهورين فى فنونهم فى بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد فى الاعتقاد فهذا الحال ربما يوقع هولاء المقلدين فى الخروج عن الدين والعياذ بالله تعالى وهم لا يشعرون والذى يوقع اولئك المقلدين فى تقليد فلاسفة هذا الزمان فى تلك المسائل هو انهم نظروا لهم ادلة فى بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كادلتهم فى المسائل الحسابية والهندسية وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فاغتروا بهم واوقعهم الوهم فى اعتقاد ان كل ما يقوله اولئك الفلاسفة صواب يقينى الثبوت وانهم لا يعتمدون فى ادلتهم فى جميع فنونهم الاعلى اليقين ولم يدروا انه يوجد فرق بين ادلة المسائل الحسابية وما ذكر معها وبين ادلة كثير من المسائل الفلكية مثلا بان تلك يقينية وهذه قد يوجد

بینها کثیر من الظنون والتخمینات وقیاس الغائب علی الشاهد الذی قد یکون فی نفس الامر قیاسا فاسدا وان قیل ان بعض تلك المسائل التی یقلد بها المقلدون فلاسفة هذا الزمان تکون مجمعا علیها عندهم قلنا انا معشر المسلمین لسنا مأمورین فی شریعتنا بتقلید اجماع الا اجماع هذه الامة المحمدیة ای اجماع علمائها الذین هم اهل الاجتهاد وفهم نصوص الشریعة حیث شهد لهم الرسول علیه السلام بانهم لا یجتمعون علی ضلالة علی ان اجماع هولاء الفلاسفة علی بعض تلك المسائل قد یکون مبتنیا علی دلیل ظنی فلا یفید عصمة اجماعهم من الخطأ لاسیما فی المسائل التی تکون بعیدة الموضوعات عنهم کما فی المسائل الفلکیة والجویة فان معظم ادلتهم فیها الحدس والتخمین وقیاس الغائب علی الشاهد کما یعلم من الاطلاع علی کتبهم التی تقرر فیها تلك المسائل ولنا عبرة فیما حدث علی مذهب المتقدمین من الفلکیین فی وجود الافلاك وما لها من الاحکام فانه قد مرت علیه المئات من السنین وهم مجمعون علیه وکم الفوا فیه الکتب وکم دونوا من الاصول والقواعد وکم صوروا صور الافلاك وذکروا لها من الاحکام الطویلة العریضة فجاء المتاخرون وابطلوه من اصله وصار بینهم یعد خرافة من خرافات البشر اذا تقرر هذا فاعلم انه کان من حق اولئك المقلدین لفلاسفة هذا الزمان فی بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشریعة الاسلامیة ان یبحثوا عن ادلتهم فیها ویطلعوا علیها فان کانت ظنیة فلا یلقون لها بالا ولا یترکون اعتقاد ظواهر نصوص شریعتهم القطعیة الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم وان کانت ادلة یقینیه ولم یبق معها ریب فی دلالتها علی ما یناقض ظواهر نصوص الشریعة فحینئذ یسوغ لهم تأویل تلك الظواهر والتوفیق بینها وبین تلك المسائل کما هو القاعدة التی مر تقریرها عند اهل السنة والجماعة وان لم

یکن اولئك المقلدون اهلا للتاویل فلیرجعوا فیه الی علماء الدین الاعلام فیفهمونهم التاویل اللازم الجاری علی قواعد الشریعة واصول اللغة العربیة التی جائت بها النصوص الشرعیة ویأمنون علی ایمانهم الذی به سعادة الدارین والله الموفق

« المقدمة الثالثة »

ان الشریعة المحمدیة بل وسائر الشرائع انما یقصد منها بیان مایرشد الخلق الی معرفة الله تعالی باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الکمال والی کیفیة عبادته واداء شکره والی الاحکام التی توصلهم الی انتظام المعاش وحسن المعاد واما تعریفهم بمباحث العلوم الکونیة من کیفیة خلق العالم وماهی النوامیس القائمة فی السماویات اوفی الارضیات وامثال ذلك فلیس شیء من نحو هذا من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هی معارف تتوصل الناس الیها بعقولهم فربما ینتفعون فی دنیاهم وبما یکون عظم منها مجرد الاطلاع والشرائع لا تلتفت الیها اولا وبالذات ولا تعتنی بتفاصیلها نعم قد تذکر شیئا منها مجملا علی قدر ما یکون له دخل فی مقاصدها الاصلیة فتذکر مثلا خلق السماوات والارضین وابرازها من العدم واختلاف انواع المخلوقات فی التنوعات وکیفیة تدبیر الاکوان واعطاء کل منها نظامه علی سبیل الاجمال لاجل ان یکون ذلك دلیلا عقلیا للناس علی وجود آله العالم وعلی اتصافه بالعلم والقدرة والحکمة الی غیر ذلك وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع یدعو الی ذلك یکون مرجعه الی مقاصدها اذا تقرر هذا فنقول

﴿ الفصل الاول ﴾

« فی رد الشبه عن النصوص الشرعیة الواردة فی السماویات »
« والارضیات اوالتوفیق بینها وبین ما قام علیه »

« الدليل العقلى القاطع مناقضا لظواهرها »

اعلم انه قد ورد فى نصوص الشريعة الاسلامية التى تعتمد فى الاعتقاد ان الله تعالى خلق سبع سموات وخلق جسما كبيرا فوق تلك السماوات يسمى كرسيا وجسما اخر فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة كما ان بينها مسافات وانه تعالى خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما اخر يسمى قلما لاثبات ما يكون فى العالم وتسطيره لا عن حاجة الى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه وانه خلق دارا تسمى الجنة اعدها لنعيم الطائعين ودارا اخرى تسمى جهنم اعدها لعذاب غير الطائعين بعد خراب عالم الارض والسموات وبعث الناس بعد الموت كما تقدم وانه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا اى السماء القربى من الارض فقال بعض علماء الاسلام هى مركوزة فى نفس السماء وهو قول جمهور المفسرين وقال بعضهم هى دون السماء بينها وبين الارض وهو منقول عن مكى وعن وهب ونقله فى مختصر الهيئة السنية للقرمانى عن كثير من المفسرين وغيرهم ونقل الشيخ مرعى الحنبلى فى عجائب المخلوقات حديثا آحاديا يدل عليه وكذلك نقل هذا الحديث ابو جعفر محمد بن عبد الله الكسائى فى كتاب الملكوت ونقل الرازى اثرا عن كعب فى تفسير سورة القدر صريحا فى ان الشمس دون السماء الدنيا وعلى هذا القول فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا انها زينة لها بحسب مرأى الناظرين اليها وان كانت تحتها وهذا لا يلزم منه ان تكون مركوزة فى نفس السماء ولعل اصحاب هذا القول يتأولون قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا اى فى السماوات نظير هذا التاويل وورد ايضا من نصوص الشريعة ما يفيد ان كلا من الكواكب يسبح فى فلك فقال بعض علماء الاسلام ان الفلك هو جسم يحمل الكواكب وقال بعضهم هو مداره اى الحيز الذى يسير فيه من الفراغ وهذا قول

الضحاك كما فى الرازى والذى عليه جمهور علماء الاسلام ان السماء مرئية لنا كما يستفاد من ظاهر بعض النصوص وقال بعضهم انها غير مرئية وانما المرئى الهواء نقله فى عجائب المخلوق عن القاضى ابى بكر بن العربى ولا بد انه يؤل النص الذى يدل ظاهره على انها ترى بتأويل مناسب وورد ايضا فى النصوص الشرعية ان الله تعالى خلق سبع ارضين فقال بعض العلماء ان المراد طبقات الارض المتراكمة على بعضها وروى فى بعض الآثار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان كل ارض منها كارضنا وفيها عالم كعالمنا وورد من النصوص ما ظاهره ان الأرض بسيطة كما فى قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها وهو مذهب جمهور علماء الاسلام وقال بعضهم انها كروية وممن قال بذلك الامام الرازى وتأولوا قوله تعالى دحاها بانه جعلها صالحة لسكنى الحيوانات بعد ان لم تكن كذلك وظاهر بعض النصوص يفيد ان الشمس هى التى تسير كما قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها وقوله تعالى وجدها تطلع ووجدها تغرب وكما يفهم من استعمال اهل الشرع فى عصر (النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده من قولهم طلعت الشمس وغربت الشمس وظاهر ذلك ان الارض ساكنة وان لم يرد تصريح بحركتها ولا بسكونها فيجب علينا معشر المسلمين الايمان بما تعطيه ظواهر هذه النصوص والاخذ بقول جمهور العلماء فيما فهموه منها وتأويل بعض العلماء المخالف للجمهور وان كان الاخذ به لايضر فى الدين بفساد الايمان لانه جار على تاويل مناسب ولكن حيث لم يظهر لنا داع قوى يدعو لذلك التاويل فالاخذ بقول الجمهور واعتمادنا على مافهموه من النصوص يكون هم الموافق لقواعد الدين الاسلامى

فان قيل ان المتأخرين من الفلاسفة الفلكيين يدعون انهم بارصادهم وبوسائط الآلات التى اخترعوها للنظر فى احوال السماويات قد ثبت عندهم انه لا يوجد فى الكون الا الكواكب وان ارضنا

التى نحن عليها هى كرة ومعدودة من جملة الكواكب وان الشمس واقفة فى الوسط تدور فقط على محورها دورة بطيئة والارض وجميع الكواكب تدور حولها بواسطة ناموس يسمى الجاذبية وان لارضنا كما لغيرها من الكواكب دورتين دورة سنوية حول الشمس منها تتولد الفصول الاربعة ودورة يومية على محورها ومنها تتولد اوقات الليل والنهار بواسطة مقابلة نور الشمس تارة والاستتار عنه اخرى وان الذى نراه من الزرقة انما هو لون الجلد وليس هو سماء اذ لا وجود للسموات عندهم ولا يقولون بوجود ارضين غير هذه الارض وشاعت اقوالهم هذه واخذ بها الكثير من عامة الاسلام من عير التفات الى التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية التى تقدمت فكيف يكون التوفيق وما الحكم فى ذلك قلنا قد تقدم لك انه يجب علينا اعتقاد ظواهر النصوص الشرعية واعتماد ما عليه الجمهور فى فهم معانيها ولا يجوز لنا تاويل النصوص وصرفها عن ظواهرها الا لداع قوى وهو قيام الدليل العقلى القاطع المناقض لظواهر النصوص ولا يجوز لنا تقليد علماء الاسلام فى امر الاعتقاد من غير ان يظهروا لنا دليلا عقليا او شرعيا فكيف بمن سواهم وعلى هذا فمن بلغه منا معشر المسلمين اقوال اولئك الفلكيين المتاخرين من غير دليل عقلى قاطع يثبت كل مسئلة من المسائل التى يدعونها فيما تقدم او بدليل ظنى لاينتج اليقين فعليه ان لايلتفت لكلامهم ولا يتحول عن اعتقاد ما تعطيه ظواهر النصوص الشرعية التى تقدم نقلها ولا يهمل اعتماده على ما فهمه جمهور علماء الاسلام منها هذا هو الواجب عليه والحافظ لايمانه من الاختلال واما اذا بلغ احدا منا كلامهم المتقدم مع اقامتهم له الدليل العقلى القاطع الدال على كل مسئلة من المسائل المذكورة من مسائلهم ويكون ذلك منافضا لظواهر النصوص التى تقدمت بخصوص تلك المسائل فعليه ان يرجع حينئذ الى القاعدة الكلية التى تقدم لنا

تقريرها وهى تاويل تلك النصوص وصرفها عن ظواهرها الى احتمال معان تناسب ماقامت عليه ادلة اولئك القوم العقلية القطعية اليقينية ولا ضرر عليه فى ذلك بعد ان يتحقق صحة ادلتهم وافادتها اليقين الذى لاشبهة فيه اذا تقرر هذا فنقول فى رد شبه هذا المقام والتوفيق بين نصوصه وبين ما يفرض تحققه من الأدلة اليقينية المناقضة لتلك النصوص

اما قول اولئك الفلكيين ان الكواكب قائمة فى الفضاء بناموس الجاذبية وليس مركوزة بسماء فهو امر جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ويكون ذلك الناموس من جملة الاسباب العادية التى وضعها الله تعالى فى الأكوان فاذا قام لنا الدليل العقلى القاطع على قيام تلك الكواكب فى الفضاء كما يقولون نتأول النص الذى ظاهره ان الكواكب مركوزة فى السماء وهو قوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح بانه من المحتمل ان يكون مراده تعالى بكونها زينة انها زينتها بحسب مرأى الرائين وان كانت تحتها كما قال بذلك جملة من علماء الاسلام وتقدم نقله عن مكى ووهب وكثير من المفسرين وكعب ونأخذ بقول من قال من علمائنا ان المراد بافلاك الكواكب هو مدارتها من الفضاء التى تدور فيها لا انها اجسام تحملها ولنكون قد جرينا على قاعدة التاويل عند قيام الدليل القطعى المعارض مع الموافقة لجملة من العلماء على اسهل وجه

واما قول اولئك الفلكيين ان المرئى لنا من الزرقة هو لون الجو فغاية ما عندهم من الدليل ان نظاراتهم المجسمة لم تكشف لهم جسما غير الكواكب قائمه فى الفضاء ولذلك انكروا وجود السماء لشدة بعدها عن الارض بمسافات شاسعه ما عادت النظارات صالحة لان تحقق جسميتها لهم ويمكن ان يكون لونها هو الذى يخفى حقيقة جسميتها وهذا هو الذى اوهمهم عدم وجود جسم فى الفضاء غير الكواكب على ان

بعض علماء الاسلام وهو القاضى ابوبكر بن العربى قدقال بان السماء غير مرئية وتأول النص الذى ظاهره انها ترى كما تقدم ولا يلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها كما هو القاعدة المسلمة من انه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود والله تعالى اعلم

واما قول هؤلاء الفلكيين ان الارض كرة فبعد اقامتهم لنا الدليل العقلى القاطع الدال على كرويتها لا مانع لنا من القول به ويمكن تأويل النص الذى ظاهره انها مبسوطة كقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بان جعل سطحها صالحا للسكنى بعد ان لم يكن كذلك مع انها فى نفسها كرة كما قال به الامام الرازى وغيره ولابد انه قام الدليل القاطع لدى من قال من علماء الاسلام بكرويتها والله تعالى اعلم

واما قولهم ان الشمس لا تسير حول الارض وانما لها دورة بطيئة على محورها والارض هى التى تدور دورتين احدهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة والاخرى يومية على محورها تتولد منها اوقات الليل والنهار فنقول

هذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فاذا اقاموا لنا الدليل العقلى القاطع على ذلك فلا مانع من القول به ونتأول ما ظاهره من النصوص الشرعية ان الشمس تسير وهو قوله تعالى والشمس تجرى للمستقر لها بان المراد من جريها هو دوارنها على محورها وانها تجرى الى استقرار يكون لها بعد ذلك عند ما يخرب عالم السموات والارض بمجىء يوم القيامة فانها حينئذ تقف عن تلك الدورة وان سبحها فى فلكها عبارة عن دورتها على محورها فى الحيز الذى هو فلكها كما تقدم ان الفلك هو الحيز فى تفسير بعض علمائنا واما الارض فانه وان لم يرد تصريح فى النصوص الشرعية بحركتها او بسكونها ولكن نسبة الجرى والسبح فى الفلك الى الشمس وظواهر استعمالات الشرع واهل العصور الاسلامية تدل

بالظاهر على انها ساكنة والحركة اليومية التى نراها انما هى للشمس والكواكب لا للارض فاذا اقام لنا هؤلاء الفلكيون الدليل العقلى القاطع على ان تلك الحركة اليومية للارض تدور على محورها يمكننا ان نصرف النص الذى ظاهره سير الشمس على ظاهره كما تقدم كما يمكننا ان نقول ان استعمالات الشرع فيما يدل ظاهره على ان الدورة اليومية للشمس لا للارض وجرى على ذلك استعمالات العصور الاسلامية انما كان ذلك جريا على الظاهر المشاهد للعامة ومجاراة لاستعمال الامم وما الفوه فى نظرهم وتكون هذه المسئلة من جملة المسائل التى لم يؤذن للرسل بشرحها للعموم لان كشف حقيقتها ليس من مقاصد الشرائع لما تقدم ان مقاصد الشرائع انما هو بيان التوحيد والعبادات ونظام المعاش وايضا بيان تلك المسئلة ربما قد يعجز عن فهمه كثير من العامة بل ربما يكون فيه للعامة اضطراب واختلال لاسيما الضعفاء منهم الذين يجدون ذلك مخالفا لمشاهدتهم ولسنا نقول ان فهم هذه المسئلة يصعب على اجلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم الذين حازوا من المعارف النبوية ما يؤهلهم انهم اعظم المسائل وادقها بل نقول ان فهمها يصعب على العامة لاسيما اهل البوادى ولينظر لو قيل للعرب الجاهلية ان الارض هى التى تدور والعالم على ظهرها لا يسقطون عنها ولا ينفصل عنها ماء البحر ونحو ذلك وهم يشاهدون بابصارهم ان الدائر حول الارض انما هو الشمس والكواكب ماذا يكون حالهم حينئذ وما كان يظهر فيهم من المخالفة والامتناع عن التصديق لهذا القول وانظر الى ما استبعدوه وانكروه من امر البعث وامثال ذلك ولكن الشرائع فى غنية عن بيان مثل مسئلة الارض اذ ليست من مقاصدها واما بيان البعث فهو من مقاصدها لما فيه من الترغيب والترهيب المصلحين للامم فلذلك لم تترك بيانه وان صعب فهمه على كثير

بل ذكرته واقامت الدلائل عليه والملخص ان الشرع جرى فى استعماله على ظاهر الحال ويسمى ذلك فى اصطلاح اللغة تجوزا ولم يظهر الحقيقة للشعب لما قدمنا وهكذا نرى الآن من يعتقدون دورة الارض يجرون فى استعمالاتهم على ما هو ظاهر الحال ويقولون طلعت الشمس وغربت ولم نسمع احدا منهم يقول قابلنا الشمس اواسترنا عنها وكل هذا جائز فى الاستعمالات اللغوية لقيام الصورة الظاهرية بالمشاهدة وليعلم ان جميع ما قررناه هنا وان كان سائغا لنا ولا ضير فيه الا اننا لا نقول به الا بعد اقامة الدليل العقلى القاطع على صحة قول هؤلاء الفلكيين والافنحن متمسكون بالظواهر لانفارقها ولا نلتفت الى اقوالهم واجماعهم اذ ليسوا معصومين من الغلط كما لم يعصم اسلافهم والله تعالى اعلم

واما انكار هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع والعرش والكرسى والقلم واللوح والجنة والنار فهذا ليس لديهم دليل عليه الا انهم ما وجدوا هذه الاشياء ولا راؤها بنظاراتهم المجسمة ونقول ان عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود فى نفس الامر وهذا مسلم عند جميع العقلاء فانكارهم لا يعبأ بـه ثم اننا نحن واياهم متفقون على وجود الفضاء الذى لا يتناهى فما المانع من ان الله تعالى خلق تلك الاجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم ان الكواكب قائمة فى الفضاء وتلك الاجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لاتدركها نظاراتهم اوانها وان ادركت بها السماء الدنيا التى هى اول تلك الاجسام فربما تكون تلك السماء ملونة بلون يوجب عدم تحقق جسميتها بالنظارات فهم لم يروا بنظاراتهم ولم يتحققوا الاجسمية الكواكب فانكروا تلك الاجسام وهى موجودة فى الفضاء الواسع الشاسع وحيث ان ذلك جائز محتمل داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى بان يخلق سبحانه تلك الاجسام ويقيمها فى ذلك الفضاء كما اقام الكواكب وقد

اخبر بوجودها الصادق عليه السلام فنحن نؤمن بوجودها وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها اذ لاداعى لذلك لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها ومجرد انكار اولئك القوم ليس دليلا ظنيا فضلا عن ان يكون دليلا يقينيا والله تعالى اعلم

واما انكارهم كون الارضين سبعا فهذا ايضا لا دليل لهم عليه فغاية ما عندهم ان يقولوا اننا لم ننظر غير الكواكب وهذه الارض ونحن نقول اولا انه لم يتفق جميع علماء الاسلام الذين يعتمد على فهمهم للنصوص الشرعية على حمل النص الذى يدل على وجود سبع ارضين منفصلة مستقلة كل واحدة منها بل بعضهم قال ان المراد بها اقاليم ارضنا السبعة وبعضهم قال ان المراد بها طبقات ارضنا وثانيا اذا اجرينا على ما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه من ان كل واحدة منها منفصلة مستقلة مثل ارضنا وان فى كل منها عالما كعالمنا فهذا شئ من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى الذى اوجد هذه الكواكب العظيمة الذى يوجد بينهما ما يزيد فى العظم عن ارضنا بميئات الالوف فما المانع ان يكون الله تعالى قد خلق ست اراضين غير ارضنا وتكون تلك الارضون قائمة فى الفضأ كما يقول اولئك الفلكيون فى ارضنا وعدم رؤيتهم لها بنظاراتهم يمكن ان يكون بسبب انها مظلمة السطح لا ترى كما ان القمر لا يرى عند المحاق ويمكن انهم يرونها بين الكواكب ويحسبونها من جملتها ولا غرابة فى ذلك على اصولهم فكثير منهم من يزعم ان فى الكواكب سكانا ويستدلون على ذلك بادلة ظنية تعلم من الاطلاع على كتبهم فحيث قد تبين ان وجود سبع ارضين لا مانع منه وقد اخبر به الصادق فنؤمن بوجودها ولا نلتفت الى كلام هؤلاء الفلكيين الذين لا سند لهم فى انكارها ويسوغ لنا تفسيرها بكل من التفاسير المتقدمة حتى على قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه مع توجيهه بما قدمناه والله تعالى اعلم

وقد بقى نص فى القرآن الشريف ترد على ظاهره الشبهة على رأى الفلكيين المتقدمين والمتأخرين وهو قوله تعالى فى قصة ذى القرنين حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة فان ظاهره ان الشمس تغرب فى عين من عيون الارض وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر لكن قد قام الدليل العقلى القاطع من لدن المتقدمين على ان الشمس اكبر من الارض بكثير ودخول الجسم الكبير فى الصغير مع البقاء على مقدارهما من المحال وقام الدليل القاطع ايضا على ان الشمس لا تغرب فى نفس الارض وعلى هذا فقد صرف العلماء الاسلام هذا النص عن ظاهره الى غير ما يتبادر منه فقالوا يحتمل والله اعلم بمراده انه تعالى اراد ان ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائى تغرب فى عين حمئة لان الناظر الى الشمس فى سواحل البلاد الغربية يتخيل ان الشمس تغرب فى بحرها الغربى المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو سخونة وليس مراده انها تغرب فى عين بالفعل ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل فاذا هى تغرب مثلا من العبارات التى تفيد حكاية واقع الامر ايضا وهكذا يقول الرجل منا انى من المكان الفلانى وجدت الشمس تغرب فى البحر او خلف الجبل او فى الوادى والحال ان اعتقاده انها لم تغرب فى واحد منها وانما حكى صورة رؤيته يؤخذ هذا التأويل من الرازى والجلالين والكواشى كما نقله فى عجائب المخلوقات قال الرازى وما قاله اهل الاخبار من ان الشمس حقيقة تغرب فى العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الا ان يصار الى التاويل والله تعالى اعلم

الفصل الثانى

« فى رد الشبه عن النصوص الواردة »
« فى شئون الملائكة والجن »

قد تقدم لنا فى الباب الثانى وجوب الايمان بالملائكة والآن نقول انه قد وردت نصوص الشريعة متواترة اومشهورة واحاديث احادية لكن لكثرتها وتعدد طرقها بلغ مايستفاد منها درجة التواتر يدل جميع ذلك على ان الله تعالى خلق اجساما لطيفة نورانية تسمى ملائكة قادرة على التشكل باى شكل ارادت وانها تقطع المسافات التى بين السموات والارض فى مدة قصيرة جدا وانها تمر امامنا ولا نراها وانها تفعل افعالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر وانها موكلة بحوادث هذا الكون كنزول الامطار وتدبير عالم الحيوان والنبات وغير ذلك وانه تعالى خلق اجساما اخرى تسمى جنا تشابه الملائكة المذكورين فى بعض خواصها من نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والاقتدار على اعمال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم وانها مكلفة كالبشر فمنهم المؤمن الطائع والعاصى والكافر وقد وردت شبه على وجود الملائكة والجن وشؤنهم من نحو الاقتدار على التشكل والاعمال الشاقة مع انهم اجسام لطيفة وغير ذلك من بعض الفلاسفة المتقدمين وتبعهم المتأخرون ونقول فى بيان رد تلك الشبهة واظهار انها اوهام لا تقوم لدى الايمان بعظمة قدرة الله تعالى على ايجاد الملائكة والجن فى تلك الشؤن والاحوال

اعلم انه من الممكن الجائز عقلا ان الله تعالى عظيم القدرة واسع العلم قد خلق الملائكة من مادة لطيفة كمادة الهواء او الاثير

الذى يقول به المتاخرون من انه مادة لطيفة جدا مالئة الكون لا ترى وقد كونهم سبحانه من تلك المادة وجمع اجزاءهم بكيفية صالحة لتلك الخواص والشؤن التى ذكرناها لهم كما كون سبحانه الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته قبول الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شى من ذلك ويحتمل حينئذ ان عدم رؤيتنا اياهم لشفافتهم ولطافتهم كالهواء والاثير على ان الامر ظاهر جدا على ما ثبت لدينا معشر المسلمين من ان الرؤية بمحض خلق الله تعالى فمن الممكن ان الله تعالى لايخلق رؤيتنا لهم عند مرورهم امامنا ثم ان اقتدارهم على التشكل مع انه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه وبيان كيفيته تقريبا للعقول بامكان ان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء او الاثير اونظير ذلك وتكثيفها وتكوينها على الصورة التى يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس الثوب فيظهرون للابصار بتلك الصور وفى الاعمال الكيماوية التى اقدر الله تعالى البشر عليها من تحويلات الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفا واللطيف كثيفا ما يقرب فهم ما قررناه الى العقول وحيث ان تشكل تلك الاجسام كيفما كان هو مستند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى تدهش اعماله الافكار فيما اعطاء للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فى ذلك وكل مؤمن بذلك الآله وبعظيم قدرته وواسع علمه لا يستبعد حصول ما ذكر للملائكة

واما انهم يعملون اعمالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر مع انهم اجسام لطيفة فبعد النظر الى اعمال الرياح التى تقلع الاشجار العظيمة وتهدم الابنية الجسيمة واعمال القوة الكهربائية التى تجر الاثقال التى تعجز عنها الوف الرجال لاتجد فى نسبة تلك الاعمال للملائكة مع انهم اجسام لطيفة شيئا من الغرابة لا سيما وان الذى

يقدرهم على تلك الأعمال هو الله تعالى الذى لا يعد ذلك بالنسبة الى عظيم قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى ان بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هى قوة ذراعه الاعمل اعصابه مع عضلاته التى تنتهى اخيرا الى مخه اللطيف النحيف الذى هو مبدأ حركة الأعضاء على ما يقوله اولئك الفلاسفة والمخ للطافته لا يتحمل اذى مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم له قد تفسده وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد فى الصلب الكثيف سبحانه من قادر عليم واما ان الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين الاجسام السماوية وبينها وبين الارض بمدة قصيرة فنقول

لا مانع منه عقلا لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد يسير فلينظر الى ما قاله اولئك الفلاسفة من ان الجسم الساقط الى الارض فى اول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته فى تلك الثانية اربعمائة وخمسين قدما ثم ان الجسم يسقط فى اى عدد كان من الثوانى بعد الثانية الاولى مايساوى مقدار ما يسقط فى الثانية الاولى مضروبا فى مربع ذلك العدد من الثوانى فبالتأمل فى هذا الناموس يعلم ما تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التى يحتار فيها الفكر وكذلك عندهم فى علم الهيئة ان أن نجم المشترى يجرى ثلاثين الف ميل فى الساعة اى اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجرى تسعة اميال كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية فى دورانه على محوره اربعمائه وسبعة وسبعون ميلا كل دقيقة ففى الساعة يقطع كل جزء من تلك الاجزأ سبعة وعشر بن الفا وتسعماية وعشرين مرة والمشترى اكبر من ارضنا بالف واربعمائة مرة على ما يقوله الفلكيون منهم فالذى جعل هذا الجسم الكثيف العظيم وكل جزء من اجزائه الاستوائية تقطع تلك المسافة الشاسعة فى تلك المدة الجزئية

لا يبعد على قدرته ان يجعل الملك يقطع تلك المسافات بين السموات والارض فى مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات اكثر بكثير من المسافات التى يقطعها المشترى واجزاؤه لكن النظر الصحيح فى سير ذلك الكواكب يقنع العقل بان قدرة الله الذى سيره ذلك السير صالحة لأعظم ما يكون من جنس هذا العمل لا سيما وناموس الاجسام الساقطة قد بين عظم سرعة حركة الاجسام وان قيل ان سير المشترى هو بواسطة الجاذبية على ما هو مفصل فى كتب اولئك القوم وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلنا وما هى تلك الجاذبية التى ينسبون اليها اعمالا عظيمة فى الكائنات وهم يعجزون عن الافصاح عن حقيقتها وعما هو الموجب لقيامها فى الاجسام وغاية ما يكون منهم انهم يتولون بها لتعليل الحوادث التى حيرت عقولهم من نحو النظام الشمسى اى دور ان الكواكب حول الشمس وغيره وبعد تسليم ثبوتها نقول من الذى اوجدها وجعلها خاصة لاجسام وانشأ عنها تلك الحوادث العظيمة فى الكائنات اغير الاله الذى ابدع الخلق من العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الاله قادرا على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث حركات الاجسام السريعة عنها فلا يعجزان يجعل الملك يقطع تلك المسافات فى مدة وجيزة اما بخاصة وضعها فيه واما بغير خاصة فالكل جائز عقلا وقدرته صالحة لكلا الامرين وليعلم ان جميع ما قررناه فى حق الملائكة يقال مثله فى شان الجن من القدرة على التشكل والاعمال العظيمة وقطعهم المسافات الطويلة فى برهة قليلة وعدم رؤيتنا لهم والاستدلال واحد لا يخفى على الفطن الذكى والله تعالى اعلم

نقول ومن هذا المقام تبين لك اندفاع الشبهة التى ترد على الاسراء والمعراج اللذين حصلا لسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم والشبهة التى ترد على انتقال عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس

سلیمان علیه السلام فی لمحة طرف اما الأسراء والمعراج فقد ورد فی القرآن الشریف ان الله تعالی اسری بسیدنا (محمد) صلی الله تعالی علیه وسلم فی لیلة واحدة من المسجد الحرام فی مکة الی المسجد الاقصی فی القدس وورد فی الاحادیث الصحیحة التی بلغت بکثرتها درجة القطع بثبوتها ان الله تعالی اصعده فی تلك اللیلة الی السموات العلی ثم اعاده الی مکة فی نفس تلك اللیلة قبل ان یطلع الفجر فیجب علینا الایمان بذلك حتی ان کثیرا من العلماء یذکرون الأسراء والمعراج فی جملة العقائد التی یجب الایمان بها وانما اخرنا ذکرهما الی هنا لبیان دفع الشبهة عنهما فی مناسبة هذا المقام فنقول حیث قد ظهر هنا ان سرعة الحرکة للاجسام مهما بلغت القدر العظیم فهی من الجائزات العقلیة الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالی فما المانع ان الله تعالی ینقل ذات سیدنا (محمد) صلی الله تعالی علیه وسلم فی لیلة واحدة من حرم مکة الی حرم القدس ثم الی السموات العلی ثم یعیده فی تلك اللیلة الی مکة فمن یؤمن بوجود الله تعالی ویتبصر فی هذه الاکوان ویعتقد ان سیدنا (محمدا) رسوله وقد اخبرنا بانه قد حصل له ذلك الانتقال السریع فی تلك المسافات وهو صادق معصوم عن الکذب لا یتوقف بتصدیق قصة الأسراء والمعراج ویؤمن بذلك من دون تردد ولا یجده الا من الامور الجائزة الداخلة تحت تصرف قدرة ذلك الآله العظیم واما من لم یکن مؤمنا بوجود الآله سبحانه وعظیم قدرته ولم یعتقد برسالة رسوله فهذا الصواب فی حقه اولا ان یرشد الی الایمان بالله تعالی ورسوله بواضح البرهان وبعد ذلك یسهل علیه تصدیق نصوص الاحادیث والقرآن والله الموفق

واما قصة مجیء عرش بلقیس من بلاد الیمن الی مجلس سلیمان فی لمحة طرف فقد وردت هذه القصة فی القرآن الکریم وانما جرت علی ید من عنده علم من الکتاب فبعض المفسرین قال انه آصف

بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام فيكون مجيء ذلك العرش كرامة اظهرها الله تعالى على يده لانه من اولياء الله تعالى وبعضهم قال انه نفس سليمان عليه السلام فيكون ذلك معجزة اظهرها الله تعالى على يديه اذ هى امر خارق للعادة ومن تأمل فى هذا المقام وظهر لديه ان سرعة حركة الأجسام مهما بلغت فهى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا يصعب عليه الايمان بهذه القصة والله على كل شيء قدير

الفصل الثالث

« فى رد الشبه عن بعض النصوص الشرعية »
« الواردة فى الامور الجوية كالمطر ونحوه »

اعلم ان ان الآيات الواردة فى القرآن الشريف فى شأن المطر هى على قسمين منها من ظاهره ان المطر ينزل من السماء تطلق فى اللغة العربية التى جاءت هذه الشريعة الاسلامية بها على عدة معان كما فى نواميس تلك اللغة منها السماء التى هى مسكن الملائكة ومنها سقف كل شيء وكل بيت ومنها كل ما علا الشيء فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر وبناء على ماتقدم من وجود اعتمادنا على المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء المذكور فى انزال المطر وهو مسكن الملائكة كما هو المراد فى كثير من الاستعمالات الشرعية ونوفق بين النصوص التى ظاهرها نزول المطر من السماء والتى ظاهرها نزوله من السحاب بان الله تعالى ينزله من السماء على البخارات المجتمعة فى الجو المسماة بالسحاب ثم ينزله منها الى الارض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الاول وتارة تذكر محل نزوله الثانى والله اصدق القائلين ونقل عن قطب العارفين سيدنا السيد احمد الرفاعى قدس سره العزيز

فی بیان هذا التوفیق ان المطر قسمان مطر ینزل من السماء وهو الذی یکون بسببه خروج النبات ومطر یتکون من بخارات الارض وبحارها ویتصاعد الی الجو ثم ینحدر من السحاب وهذا لا یکون به الانبات وان کان له حکم ومنافع الله اعلم بها ثم اذا ثبت بالدلیل العقلی القاطع ما یقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من ان المطر لیس الا من بخارات الارض وبحارها یتصاعد الی الجو بسبب الحرارة ثم ینعقد بسبب البرد سحابا ثم یتحلل مطرا وتحقق ذلك بدون ریب ساغ لنا حینئذ علی موجب القاعدة المتقدمة ان نؤول النصوص التی یتبادر منها ان المطر ینزل من السماء التی هی مسکن الملائکة بان المراد بالسماء فی هذه النصوص هی ما علانا وصار سقفا لنا وهو السحاب کما هو احد معانیها اللغویة وقد ذکر هذا التأویل الامام الرازی فی تفسیر سورة البقرة واشار الیه الشیخ الشرنبلالی فی شرح مراقی الفلاح او ان یقال انه لما کان نزول المطر باسباب سماویة من جملتها حرارة الشمس المرسلة اشعتها الینا من جهة السماء فتثیر وتصعد الاجزاء المائیة من اعماق الارض ومن البحار والانهار الی جو الهواء فینعقد سحابا فیمطر کان الانزال من السحاب حقیقة ومن السماء مجازا باعتبار السببیة والله مسبب الاسباب وقد ذکر هذا التأویل الشیخ اسماعیل حقی فی تفسیر سورة النباء وعلی کل فقد اندفعت الشبهة ووافقت النصوص الشرعیة حکم العقل والله تعالی اعلم

وان قیل ما حقیقة الرعد والبرق والصاعقة فان الفلاسفة المتاخرین یقولون انها ناشئة عن عمل القوة الکهربائیة المتکونة فی السحاب واقاموا علی ذلك فی کتبهم الدلائل من نوع قیاس الغائب علی الشاهد قلنا اختلف علماء الاسلام المتقدمون فی ذلك فقال بعضهم الرعد ملك موکل بالسحاب یسوقها حیث شاء الله تعالی والصوت المسموع صوته ویسمی رعدا ایضا وبیده مخاریق من نار یسوق بها السحاب

والبرق ما ينقدح من تلك المخاريق واذا اشتد غضبه طارت من فمه نار هى الصاعقة واستند اصحاب هذا القول الى حديث احادى روى فى ذلك وقال بعضهم ان الرعد خلق من خلق الله تعالى ليس بملك وروى هذا عن الحسن اى البصرى وقال بعضهم ان الرعد والبرق والصاعقة تتولد من اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها فينشأ هذا الصوت المسمى رعدا وينقدح ذلك اللمع المسمى برقا والصاعقة قصفة رعد هائلة معها نار لا تأتى على شئ الا اتت عليه بالهلاك وعبر البيضاوى عن هذا القول بانه المشهور ولعله مراده المشهور بين علماء المعقول اذا تقرر هذا فاعلم ان اختلاف العلماء فى هذه الاشياء دليل على ان الحديث الذى استند اليه اصحاب القول الاول لم يصح عند الفريق الثانى الذين خالفوهم والا لما قالوا بغير مضمونه فيكون اعتقاد مضمون القول الاول ليس واجبا علينا كبقية العقائد الاسلامية اذ ليس النص الذى استند اليه من النصوص الثابت ورودها عن الرسول قطعيا كالتواتر والمشهور لكن الصواب عدم مخالفة الحديث وان كان احاديا واذا لم يقم دليل قاطع على ثبوت خلافه فجميع ما ذكر فيه هو من الجائز العقلى الداخل تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع ان يكون الله تعالى عظيم القدرة قد خلق ذلك الملك ووكله بتدبير امر السحاب والامطار وينشئ عنه تلك الحوادث من الصوت العظيم والبرق والصاعقة واما اذا ثبت بالدليل العقلى القاطع ان تلك الحوادث الثلاث انما هى من عمل الكهرباء فلنا حينئذ تاويل نص ذلك الحديث الاحادى فنقول

لا مانع ان الله تعالى قد خلق ملكا ووكله فى تدبير شؤون الامطار وتلك الحوادث الناشئة عن القوة الكهربائية التى لا بد فيها من حكم باهرة انما مبدأها تدبير ذلك الملك وتصرفه فى السحاب فاراد بالحديث افادة ان شؤون المطر وتلك الحوادث مرجعها ذلك الملك

مع تمثيل وتصوير عظمته فعبر عن الرعد بصوته والبرق بلمعان مخاريقه والصاعقة بشرارة فمه والمراد من جميع ذلك التمثيل والتصوير وهذا الاسلوب مستعمل فى اللغة العربية يفهم اصحابها ما هو المقصود منه وورد نظيره فى استعمالات الشرع الشريف فما ورد فى كلام اهل اللغة العربية منه قول بعضهم يمدح رجلا

ان السماحة والمروءة والندى ❊ فى قبة ضربت على ابن الحشرجى

فانه من المعلوم ان السماحة والمروءة والندى هى معان لايمكن ان توضع فى قبة مع الممدوح وانما المراد تمثيل وتصوير ملازمة ذلك الممدوح لتلك الصفات الكريمة حتى كانها ضربت عليها وعليه قبة ومما ورد منه فى استعمال الشرع الشريف قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فانه قد يؤل بان المراد منه تمثيل وتصوير عظمة الله تعالى وقدرته وعظمة سلطانه والا فهو سبحانه ليس مشابها للحوادث ويستحيل ملاصقته لها بان يقبض على الارض ويأخذ السموات بيمينه سبحانه وبهذا يتضح التوفيق بين ذلك الحديث الاحادى وبين ما فرض ثبوته بالدليل القاطع من كلام الفلاسفة المتأخرين والله تعالى اعلم

فان قيل قد ورد فى القرآن الشريف ما يفيد ان الله تعالى جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وجعلها حفظا من الشياطين ورجوما لهم لانهم يصعدون الى قرب السماء لاستراق السمع من الملائكة ومن المعلوم ان الفلكيين يقولون بكبر كثير من الكواكب حتى ان منها ما هو اكبر من الارض بمرات وورد ايضا فى بعض الآثار ما يدل على كبر البعض منها ولو رجمت الشياطين بهذه الكواكب الكبيرة لسقطت على الارض واضرتها ولكان يظهر النقص فى الكواكب المرئية لنا على طول الزمان قلنا ليس المراد من النص القرآنى ان نفس الكواكب الكبيرة تكون رجوما حتى يلزم ذلك

بل المراد كما قال الامام الرازى فى تفسير سورة الصافات وتفسير سورة الملك ان تنفصل شعل من الكواكب ترجم بها الشياطين وهى الشهب التى نراها منقضة من جهة السماء اوان الكواكب قسمان قسم منها الكبير الثابت الذى لا يتغير ولا ينقض وقسم منها الصغير الذى ينقض ويكون رجما للشياطين وهى هذه الشهب التى نراها منقضة فان قيل ان الفلكيين المتأخرين يقولون ان الشهب اجسام صغيرة سابحة فى الفضاء تنجذب احيانا الى الارض عند قربها منها وتنقض ملتهبة من سرعة الحركة قلنا لم يقل النص القرآنى ان كل شهاب فهو رجم للشياطين بل مفاده ان الكواكب رجوم للشياطين فى الجملة فما المانع ان الله تعالى خلق تلك الاجسام واقامها فى الفضاء وهى من جملة الكواكب ولكنها صغيرة فتارة تنقض الى جهة الارض بسبب جذب الارض لها عند قربها منها وتارة يرسلها الله شهبا على الشياطين المتسرقين للسمع فقد ظهر مصداق النص القرآنى ان الله تعالى جعل النجوم زينة ورجوما فالزينة بكبارها والرجوم ببعض صغارها فالفلكيون ما علموا غير ما دلتهم عليه ارصادهم ونحن قد علمنا ان من الكواكب ما يكون رجوما للشياطين وهو بعض تلك الاجسام الصغيرة وثبت عندنا ذلك باخبار القرآن الشريف الصادق ولا اشكال فى ذلك والله اعلم

فان قيل اذا ثبت ما يقوله الفلكيون من ان الارض كرة قائمة فى الفضاء ليست مركوزة على شىء فما يقولون فى الاثر المروى عن بعض الصحابة انه سئل سيدنا عيسى عليه السلام عن الارض فقال انها على ثور والثور على صخرة والصخرة على ظهر الحوت والحوت فى بحر والبحر على الريح وتحت الريح ظلمة قلنا هذا الاثر ولو فرض نقله حديثا ليس آية قرآنية ولا حديثا متواترا ولا مشهورا حتى يجب علينا الايمان به كبقية العقائد الاسلامية لعدم

اليقين بثبوته وعلى فرض ثبوته عن سيدنا عيسى عليه السلام فيمكن تأويله بكونه من ضرب الامثال وكثيرا ما ترد الرموز وضرب الامثال فى كلام سيدنا عيسى عليه السلام كما يعلم ذلك من تتبع المنقول عنه والله اعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

« فى رد شبه شتى عن نصوص شرعية »

اعلم قد انه ورد فى القرآن الشريف ما يفيد ان الله تعالى خلق آدم ابا البشر عليه السلام ابتداء من طين بدون اب ولا ام وورد انه سبحانه خلق زوجته حواء منه وقال بعض المفسرين ان المعنى انه خلقها من جنسه ونوعه كما قال تعالى وخلق لكم من انفسكم ازواجا وقال اكثر المفسرين انه خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى واستندوا فى ذلك الى حديث احادى ورد فى ذلك وورد فى القرآن ايضا ان الله تعالى خلق سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم رضى الله تعالى عنها من دون اب قال علماء الاسلام ان فى خلق هؤلاء المذكورين بهذه الطرق مع خلق بقية البشر على الطريق المعتاد اشارة من الحق تعالى للعباد على تمام قدرته بخلق الانسان على اى كيفية اراد فخلق آدم بدون ذكر وانثى وخلق حواء من ذكر وخلق عيسى عليه السلام من انثى وخلق بقية البشر ذكورا واناثا من ذكر وانثى ومن يؤمن بوجود الله تعالى وبكمال قدرته ويتصور ما ابدعه من الحيوانات والنباتات من التراب لايصعب عليه الايمان بخلق آدم وحواء وعيسى بالكيفيات المذكورة اذ لا دليل على استحالة شىء من ذلك وقد اخبر به الصادق وما يقوله بعض المتأخرين من الفلاسفة فى حق الانسان وبقية الحيوانات من انها

تولدت من عناصر الارض ثم اشتق بعضها من بعض بتفاصيل مستطيلة ويسمون قولهم هذا مذهب النشوفهو قول مبنى على الظنون والاوهام لا مستند له فى باب اليقين كما اوضحت ذلك فى الرسالة الحميدية فى حقيقة الديانة الاسلامية فلينظر هناك فلا داعى لنا الى تاويل النص الوارد فى خلق آدم من تراب كما يعلم من القاعدة التى تقدم تقريرها من انه لايسوغ لنا تأويل النص الشرعى الا اذا قام الدليل القاطع على ما يناقض المعنى المتبادر منه وعلى فرض قيام الدليل القاطع على ما يقوله هؤلاء الفلاسفة فيمكن تأويل هذا النص فى خلق آدم وحواء بتاويلات مناسبة كما ببنته فى الرسالة الحميدية ايضا فارجع اليه واما من لم يكن مؤمنا بالله تعالى وعظيم قدرته فهذا الصواب فى حقه كما تقدم مرارا اقامة الشواهد له حتى يصير مؤمنا بالله تعالى وبعد ذلك يتضح له صدق تلك النصوص والله اعلم

كذلك قد ورد فى القرآن الشريف فى قصة اهل الكهف ما يفيد انهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وجاء شرح قصتهم فى الاحاديث الشريفة انهم اشخاص مؤمنون على دين سيدنا عيسى الصحيح خافوا من اجبار ملكهم لهم على الكفر وعبادة الاوثان فاختبؤا فى ذلك الكهف وارسل الله عليهم النوم وحفظ حياتهم تلك المدة ثم بعد يقظتهم عادوا فناموا وسد عليهم القوم الذين اطلعوا عليهم باب الكهف فهذا الحال من الجائزات العقلية اذ لا مانع من ان الله تعالى يحفظ حياة النائم سنين عديدة فان الغذاء ماهو الا سبب عادى فى حفظ الحياة والله قادر على حفظها بدون الغذاء وقد يوجد فى الحيوانات لاسيما من نوع الحيات ماينام تحت التراب مدة الشتاء لا ياكل ولا يشرب ويحفظ الله عليه حياته تلك المدة وكذلك قال بعض الباحثين عن طبقات الارض ان بعض الحيوانات الصغيره قد تخمد تحت التراب

الوفا من السنين وهى محفوظة الحياة واستشهد على ذلك ببعض ما اكتشفوه ولا يلزم من وجود اهل الكهف الآن ان يطلع عليهم الباحثون عن الآثار القديمة فكم من البقاع لم يصلوا اليها ولم تطؤها اقدامهم ولم يرد حديث صحيح بتعيين مكانهم والله تعالى اعلم

وكذلك قد ورد فى نصوص القرآن الشريف وفى احاديث كثيرة ما يدل على ان الرؤيا المنامية قد تدل على امور تحدث فى اليقظة اما صراحة واما بنوع اشارة تحتاج للتفسير قال العلماء ان الرؤيا المنامية هى تصورات فكرية تحدث فى ذهن النائم على انواع منها ما سببه بخارات الطعام ومنها ما سببه تفكر الانسان فى اشياء حالة اليقظه فيراها او يرى ما يناسبها فى حالة النوم ومنها ما سببه من الشيطان لاجل غرور الناس او ادخال الحزن عليه اونحو ذلك من مقاصده الخبيثة ومنها ما يكون من جانب الله تعالى تبشيرا للعباد او تحذيرا او غير ذلك اما صراحة واما اشارة وهذا القسم بنوعيه هو الذى ورد فى الشريعة انه جزء من الوحى وكل هذه الاقسام جائزة لا يستلزم محالا عقليا وللقسم الاخير شواهد كثيرة تنقل فى التواريخ القديمة الى هذا الزمان ونظن انه لا يخلو شخص من حصول شىء له من ذلك فى مدة عمر ولكن يوجد فى فلاسفة هذا العصر من ينكر هذا النوع الاخير من الرؤيا وينكر دلالتها على شىء فى اليقظة بدون دليل منه على استحالته اوعدم وجوده واذا نقل اليه بعض الشواهد التى حدثت لبعض الناس من هذا النوع يؤل ذلك الشاهد بتأويلات واهية سخيفة فالذى نعتقده ان دلالة هذا النوع من الرؤيا على امور تحدث فى اليقظة هو امر جائز عقلا وقد اخبرت بوقوعه نصوص الشريعة فنؤمن به ونصدق

كذلك قد ورد فى بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ما يفيد ان للسحر حقيقة واثارا فى الخارج قال العلماء ان من السحر ما يوجد له حقيقة واثار فى الخارج مثل قلب بعض صور الحيوان الى صورة اخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك ناشئ اما عن خاصية فى نفس الساحر خصه الله تعالى بها او عن استعمال الساحر بعض الرقى والعزائم ولكن كل ما يحدث من اثار ذلك فى الخارج فهو بمحض خلق الله تعالى وتلك الخاصية فى الساحر واستعماله بعض الرقى والعزائم ما هو الا من الاسباب العادية التى جرت عادة الله تعالى فى احداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالقا لشئ من تلك الاثار ومن السحر ما لا اثر له فى الخارج حقيقة وانما يحدث عنه فى نظر الرائى وفكره صور وهمية متخيلة يظن الرائى ان لها وجودا فى الخارج والحال ليس كذلك وتلك الصور الخالية تحدث اما بواسطة اعمال كيماوية او باستعمال النواميس الطبيعية كنواميس النور فيرى الانسان اثرا فى الخارج لا حقيقة له فيه واما بوسائط اخرى كسرعة العمل وغير ذلك قال اهل السنة والجماعة لا مانع ان الله تعالى يوجد فى بعض النفوس خاصة التاثير بالاجسام وقلب صورها واحداث الاضرار ونحو ذلك او يحدث ذلك عند استعمال بعض الرقى والعزائم ولكن كل ذلك بخلق الله تعالى وجعله تلك الخاصة والرقى والعزائم اسبابا عادية تحدث عندها تلك الاثار كما لا مانع من خلق الله تلك الصور الخالية المتوهمة التى لا حقيقة لها فى الخارج عند استعمال بعض النواميس التى تنشأ تلك الصور عنها وان قيل لو جوزنا وقوع السحر يلزم اشتباه الساحر بالرسول الذى يأتى بالمعجزة قلنا ان الرسول يدعى الرسالة من عند الله تعالى ويصدقه الله تعالى باظهار المعجزة على يديه والساحر لا يدعى الرسالة وان اراد ادعاءها فمن حكمة الله تعالى ان لا يظهر الامر

الخارق للعادة على يديه او انه ان ادعى الرسالة كان من حكمة الله تعالى ان يطلع بعض من يدعى بينهم على حقيقة اعماله السحرية فلا يلتبس عليهم الحال بالمعجزة كما قال الرازى فى حكمة تعليم الملكين الناس السحر وقد نقلناه فيما تقدم فهذا يكون الفارق بين المعجزة والسحر فان قيل ان الفلاسفة المتاخرين انكروا وجود السحر من النوع الاول وهو ان يكون على يد الساحر ظهور بعض الحقائق من قلب الصور والاضرار بالغير بواسطة خاصية بنفسه او استعمال بعض الرقى والعزائم واحتجوا على ذلك بانه لا يظهر فى العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور تلك الحقائق فى الخارج وبان فى جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة فى هذا الزمان ان جميع ما يظهر على ايديهم هى صور وخيالات لاحقيقة لها فى الخارج وهى تحدث على ايديهم بواسطة استعمال بعض النواميس او بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من اقر بان ما يظهره للعيان ما هو الا صور خالية لاحقيقة لها فلنا انا معشر اهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك الوسائط وهى خاصية النفس واستعمال الرقى والعزائم وبين ظهور تلك الحقائق فى الخارج لايلزم منه عدم وجوده فى نفس الامر فربما يكون ذلك الارتباط موجودا وهم لم يطلعوا عليه لاسيما وامر السحر شىء خفى ووجود السحرة قليل وفى ازمنة متباعدة وهذا المغناطيس لاشك انه يجذب الحديد ومع ذلك لم يطلع هؤلاء القوم على حقيقة السبب الذى به توجد هذه الخاصية ولم كان يجذب الحديد دون غيره غاية ما يقولونه ان تركيب اجزاء المغناطيس تقتضى ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير واضح ولا مقنع للعقل فيه على اننا نقول ان وجود تلك الحقائق على يد الساحر بمحض خلق الله تعالى وهذا لا مانع منه سواء كان هناك سبب موجب اولم يكن واما قولهم اننا فى جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة فى هذا الزمان قد اتضح

لدينا ان جميع ما يظهر على ايديهم منه هى صور وخيالات لاحقيقة لها فى الخارج

فنقول اولا لانسلم انهم اطلعوا على احوال كل ساحر فى هذا الزمان وثانيا لا مانع ان يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم وبقى النوع الثانى فقط الذى اطلعوا عليه ونحن لانقول بوجود النوع الاول دائما حتى فى هذا الزمان بل فى نفس الامر هو عزيز الوجود ولايوجد صاحبه الا فى ازمنة متطاولة فالملخص اننا معشر اهل السنة نقول بوجود السحر لاسيما فى الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص وبان اثاره بمحض خلق الله تعالى وان لم نطلع على وجود شئ منه فى هذا الزمان والله اعلم

كذلك قد ورد فى بعض الاحاديث الاحادية ان لبعض الاعين تأثيرا فى سقم بعض الاجسام واضرارها وحمل عليه بعض المفسرين تفسير بعض الايات وقد انكر هذا بعض الفلاسفة المتأخرين والمتقدمين قالوا كيف يعقل ان العين تعمل من بعد وتؤثر فى الاجسام بالاسقام والاضرار ونحن نقول

ان ذلك من الجائزات العقلية وحقيقة ذلك التاثير بخلق الله تعالى والعين سبب عادى واذا اريد بيان ذلك التاثير عقلا فنقول ان الناس مختلفون فى خواصهم كما يكون الاختلاف بين اصناف الحيوانات فما المانع من ان يكون فى الناس ذو طبيعة فى نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر شيئا بعينه واعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل من عينه فى الهواء مادة سامة اذا وصلت الى المرئ اضرت به واى مانع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منها الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين على خواص الحيوانات ان من الافاعى ما ينظر الى الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته واذا صح هذا فتلك الافعى لم يكن قتلها من بعد الا بواسطة سم

ینفصل عنها ویصل الی الانسان ومن نظر الی المغناطیس وتاثیره بالحدید من بعد لا یستغرب تاثیر العین فی الاجسام من بعد وهذا الذی ذکره من تاثیر العین فی سقم الاجسام واضرارها هو الذی ثبت فی الاحادیث واما ما ینقل من ان العین تهدم المبانی العظیمة وتشق الجبال الکبیرة وامثال ذلك فهو شیء منقول فی القصص والاخبار الشائعة بین الناس واذا لم یصح فی نقول الشریعة الصحیحة فلا یعتمد علیه والملخص انا نقول بجواز تاثیر العین فی الاجسام بالاسقام والاضرار ووجود ذلك بخلق الله تعالی لورود النص بذلك ولا مانع منه عقلا ولا یستلزم محالا والله تعالی اعلم

وکذلك قد ورد فی بعض الاحادیث الاحادیة الطاعون من وخز الجن والذی یقوله الاطباء ان مرض الطاعون من فساد الدم الناشیء من فساد الهواء فنقول

اذا تحقق ما یقوله الاطباء یمکن ان یقال ان السبب الاصلی فی الطاعون هو تسلیط الله تعالی الجن علی بنی آدم بافساد هوائهم ودمهم فیتولد عن ذلك تلك الغدد الطاعونیة فالنص الشرعی اخبر بالسبب الاصلی وکنی عنه بوخز الجن والاطباء اطلعوا علی السبب الاخیر فقالوا بما اطلعوا علیه ولا اشکال فی ذلك والله اعلم

وان قیل قد جاء فی حدیث احادی انه علیه السلام قال لایوردن ذو عاهة علی مصح وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد وجاء فی حدیث اخر انه علیه السلام قال لاعدوی فه التوفیق بینهما قلنا من المعلوم ان اعتقاد اهل الاسلام انه لاتاثیر لشیء بطبعه بل کل اثر فهو بخلق الله تعالی وانما قد اوجد الله اسبابا عادیة للاثار والله قادر علی تخلف تلك الاثار عن اسبابها وان العمر محتوم لا یزید ولا ینقص ولا یصیب الانسان الا ماقدر علیه فلا یجوز للانسان ان یعتقد ان المرض الفلانی یؤثر بطبعه ویعدی غیر صاحبه وان الانسان قد یعدی بالمرض ویموت قبل اجله الذی قدره الله له اذا تقرر ذلك فنقول یمکن والله اعلم بمراد رسوله ان المراد من قوله

عليه السلام لاعدوى انه لايجوز اعتقاد العدوى بتأثير الامراض بطبعها واماتة الانسان قبل اجله ولكن قد توجد فى بعض الامراض مثل الجذام والجدرى والسل وامثال ذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفصل من صاحبها ربما تكون سببا عاديا لحدوث المرض فى من يخالطه ويقاربه فيمكن حينئذ والله اعلم ان يكون هذا هو المعنى الذى اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فكما ان شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة وامثال ذلك تكون سببا للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السامة التى تنفصل من المريض قد تكون سببا عاديا لمرض الصحيح المخالط له فاذا تجنب المرء اصحاب تلك الامراض تحاشيا عن الاسباب العادية مع اعتقاده ان تلك الامراض ليست مؤثره بطبعها وان تحاشية لا يكون مانعا لقدر الله تعالى ولا مطيلا له عمرا فلا مانع من ذلك التحاشى مع مراعاة تلك الشروط لصحة الاعتقاد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الطاعون اذا كان فى البلد الذى انتم فيه فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان فى بلد فلا تدخلوه قال بعض العلماء يريد بقوله لا تخرجوا منه اذا كان فيه كانكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله واذا كان فى بلد فلا تدخلوه ان مقامكم فى البلد الذى لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم ومع ذلك لا مانع للانسان ان يخالط اصحاب الامراض اتكالا على الله وثقة به تعالى لان حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اكل مع مجذوم فى اناء واحد وقال ثقة بالله فبالتامل فى هذا المقام يظهر التوفيق بين الاحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين فى مسئله العدوى والله تعالى اعلم

وان قيل قد ورد فى حديث احادي ما مفاده ان الله تعالى قد جعل ملكا موكلا بعروق الارض فاذا اراد الله زلزلة جهة من الارض

امر ذلك الملك فتحرك عرق تلك الجهة فتحدث فيها الزلزلة

والفلاسفة يقولون ان الزلزلة تحدث من احتباس ابخرة اومياه فى جوف الارض وتنضغط بالحرارة وليس لها منفذ الى ظاهر الارض فيحدث عنها تلك الحركة العنيفة المسماة بالزلزلة قلنا الذى ورد فى الحديث لا مانع منه عقلا ولكن اذا ثبت بالدليل القاطع ما يقوله الفلاسفة يمكن تاويل ذلك الحديث بان الله تعالى جعل ذلك الملك موكلا بتدبير الابخرة والمياه التى فى جوف الارض وقد كنى فى الحديث عن ذلك بانه موكل بعروق الارض فاذا اراد الله تعالى زلزلة جهة امر ذلك الملك فسلط الابخرة والمياه وضغطها بالحرارة فى جوف تلك الجهة فتحصل الزلزلة فعبر عن ذلك فى الحديث بانه يحرك عرق تلك الجهة ولا مانع من الكناية لصعوبة الفهم على العامة ان الابخرة تحرك الارض العظيمة والله تعالى اعلم

ان قيل قدتوجد آثارفى بعض الكتب فى كبر اجسام المتقدمين تحتوى على مبالغات يستبعدها العقل وهى وان لم تكن مستحيلة عقلا لكن قد اكتشف الباحثون عن الآثار الارضية على اجسام محنطة من تاريخ اربعة الاف سنة فوجدوها مثل اجسام اهل هذا الزمان فما تقولون فى ذلك قلنا ان الذى ثبت فى هذا الباب ان الله تعالى ذكر من قبلنا فقال كانوا اشد منكم قوة وقال عن طالوت وزاده بسطة فى العلم والجسم وقال فى تقريع بعض المتقدمين واذا بطشتم بطشتم جبارين وكل ذلك لااشكال فيه ولايعارضه اكتشاف ولاغيره واما ما شاع من قصة عوج بن عنق والمبالغة فى كبر جسمه وكذلك ماينقل ان آدم عليه السلام كان رأسه يصل السحاب والسماء يحاكيها فاعتراه الصلع من ذلك فقد قال الامام ابن قتيبة فى شرح الاحاديث المشكلة ان هذا شئ لم يأت به كتاب ولا ثقة وليس له اسناد وقال الامام ابن فورك فى شرح الاحاديث المتشابهة عن الروايات فى طول آدم

وقامته انها مما لا یوثق به اذ لیس فی ذلك خبر صحیح ولم یثبت انه قد کانت خلقة آدم علی خلاف هذه الخلقة عن الحد الزائد الذی یخرج عن المعهود من متعارف خلق البشر نقول لکن یعارض کلام ابن فورك ما جاء فی حدیث البخاری الصحیح من ان طول آدم کان ستین ذراعا وانه لم یزل الخلق ینقص حتی الآن فالتحقیق انه علی فرض ثبوت احادیث فی کبر اجسام المتقدمین فیمکن جعلها علی انهم کانوا اکبر اجساما من اهل هذه الازمنه بما هو خال عن المبالغة کالستین ذراعا فی خلق آدم وانه من المحتمل ان الاجسام اخذت تصغر فی ازمنة متطاولة لاسباب عادیة حتی بلغت مقدار هذه الاجسام المعروفة الان والذی اکتشفه الباحثون عن الاثار الارضیة انما هو اجسام وجدت بعد ان وصلت الاجسام فی الصغر الی هذا القدر وما تعنیه الاحادیث الذی فرض صحتها هو فی اجسام اهل ازمنة قدیمة جدا ومثل هذا یقال فی طول اعمار المتقدمین فانه قد ورد فی القرآن ان نوحا لبث فی قومه الف سنة الا خمسین عاما وورد فی الاحادیث ان آدم علیه السلام عاش الف سنة وهذا امر ممکن عقلا لا استحالة فیه ومن الجائز ان اعمار البشر کانت تطول ثم اخذت تتناقص کما تناقصت اجسامهم حتی بلغت هذا الحد المعلوم والله تعالی اعلم اللهم امین وصلی الله تعالی وسلم علی سیدنا (محمد) وعلی آله واصحابه الطیبین الطاهرین والحمد لله رب العالمین